مكتبة الفكر الإسلامي
لصاحبها عائل

سلسلة الفكر الإسلامي
رقم ١٠

١٤١٠هـ

في الدعوة الإسلامية

تأليف
مولوي مطيع الله عائل

مكتبة الفكر الاسلامي
لصاحبها عائل

سلسله رقم (1)

عنوان البحث

عناية اللّٰه بالدعوة الإِسْلامية

اعداد الطالب: مطيع اللّٰه (عائل)

بحث: مكمل لنيل الشهادة العالية الليسانس

باشراف: الدكتور ابراهيم امام استاذ وسا ل الاعلام الاسلامية

بالجامعة الاسلامية

بالمدينة المنورة

المملكة العربية السعودية

فى العام الدراسى: ١٤٠٥ الهجرى

الموافق عام: ١٩٨٥ الميلادى

عنوان البحث: عناية الله بالدعوة الاسلامية

المؤلف: مولوی مطیع الله (عائل)

الاشراف: دكتور ابراهيم امام حفظه الله تعالى

المراجع: مولوی عمیر حفظه الله تعالى

الناشر: المكتبة الاسلامية كانسى رود كويتا باكستان

تاريخ النشر: ٢٢/١٠/٢٠١٠ الميلادى

تعداد النشر: (١٠٠٠)

بسم الله الرحمن الرحيم

من قبس القران

مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ.

[سورة الاحزاب، الآية: ٤٠]

من نور النبوة

عن أبى ابن كعب أن رسول الله ﷺ قال مثلى فى النبيين كمثل رجل بنى دارًا فاحسنها واكملها وجملها وترك منها موضع لبنة، فجعل الناس يطوفون بالبنا ويعجبون منه ويقولون لوتم تلك أو موضع تلك اللبنة، وأنا فى النبيين بموضع تلك اللبنة.

[رواه الترمذى]

الاهداء

الى من يعجبنى اخلاصه للإسلام اذ هو يهتم به كأنما خلق لاجله، والى من كان ولايزال يلاقى فى سبيل الدعوة الاسلاميه، كل عنت ومقت، من عدو وصديق، وقريب وبعيد، وهو يتمادى فى عمله لاينوى على شئ من ذلك.

مطيع الله "عائل"

ما يحتوى عليه البحث

مقدمة

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الذى انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا. ليخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد.

والصلوة والسلام على من أرسله الله بالهدى، ودين الحق ليظهره على الدين كله، بشيراً ونذيراً ورحمة للعالمين، وخاتم النبيين. وعلى آله وأصحابه ومن تبعه باحسان الى يوم الدين.

أما بعد: قال الله تبارك وتعالى ﴿لَإِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيْدَنَّكُمْ الآية﴾ وقال الرسول ﷺ: ((مَنْ لَمْ يَشْكر النَّاسَ لَمْ يشكر الله)) وقال الله عز وجل: ﴿اعبدُوْا اللّٰه وَلاَ تشْرِكُوْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ اِحْسَانًا.﴾ وقال الله تعالى ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حسنا. الآية﴾

ومن المعلوم أن الاستاذ والد معنوى فكما أن الاب واجب الشكر والاحترام، فالاستاذ أولى به لأنه مربى العقيدة الصافية التى هى مدار الفوز والفلاح والسعادة الأخروية الأبدية، ولذا قيل لكل شىء طريق وطريق الجنة علم، ولايحصل العلم الا بتعلم من العلماء الفضلاء، فلهذا وجب علينا الاعتراف بالشكر، ومن مقتضى الواجب عرفان الجميل، فأستاذنا وشيخنا العلامة فضيلة الدكتور ابراهيم امام، رئيس قسم الاعلام فى الجامعة الاسلامية تغمده الله برحمته قد احسن الينا فى تعليمه فى جمع العلم والمعلومات العامة فى وسائل الاعلام، وفى

معرفة منهج البحث تصحيحه خاصة. واعانني بالصدق والاخلاص، واعطاني من اوقاته الغالية افكاره النيرة ودلني ببعض ما احتجت اليه من المراجع والمصادر التي لها صلة بالموضوع، فالله اسائل أن يجزيه عنا وعن جميع المؤمنين أحسن الجزاء، وأن يبارك له في عمره وعلمه وسائر أعماله وأفعاله، وأن يرزقه علما متلبسا بالعمل الصالح، وأن يجعل جهده خالصا لمرضاة الله وحب رسوله الأمين، يامجيب الداعين. أمين

وأجد من الواجب أن ابرز شكري لجميع القائمين بالجامعة الاسلامية عامة وبكلية الدعوة واصول الدين خاصة بما سامحوني من فرصة ثمينة للدراسة والتعلم فيها فترة طويلة كافية لتحصيل مايحتاج اليه الانسان من العلم والمعلومات في امور الدين الحنيف من حيث تفسير كتاب الله، وشرح الأحاديث النبوية على صاحبها افضل الصلوة والتسليم ، ومن حيث العقيدة، والفقه وأصوله وجميع الفنون التي لابد منها، واسال الله تعالى الثبات والاستقامة وأن يوفقنا الجميع لخدمة دينه.

اللهم اجعل التوفيق رفيقنا، وصراط المستقيم طريقنا، والى الخيرات كلها دليلا، ووفقنا لما تحبه وترضاه من القول والعمل والنية والهدى.

وصلى الله تعالى علي سيدنا محمد

وآله وأصحابه وذريته وأتباعه أجمعين.

باعث اختيار هذا البحث

لما أننا نعيش اليوم فى عصر تغلب فيه المادية الطاغية على كل ما سواها، وقد مر زمن طويل حتى يتجاوز المدى الذى وصلت اليه الى ما لايعلم نهايته الا الله، لذلك تخلف الطاقات الروحية تخلفا سريعا، افقدها كل قدرة على الحد من هذه الطغيان الجازف للمادية، وقد كان ذلك نتيجة طبيعية لهذا الصراع العنيف الذى انتصرت فيه المادة فى كل مجال من مجالات الحياة على القيم الروحية، وكان الناس يحاولون لما ذا بعث الرسول فى مكة ولم ببعث فى غيرها؟ ولما ذا اختار الله محمد اليتيم من بين الشعوب المتمولة والقبائل القوية رسولا للدعوة الاسلامية؟ ولماذا اختار الله الغة العربية لغة للدعوة الاسلامية وغيرها من التساؤلات، فعلى هذا اخترت هذا الموضوع لنرى أن اختيار مكة المكرمة مكانا، ومحمد بن عبد الله رسولا للدعوة الاسلامية كل عناية من عنايات الله بالدعوة الاسلامة وليكون جوابا لمثل هذه التساولات، واكون على بينة ومعلومات عن الدعوات السابقة السماوية والوضعية، كيف كان بدايتها ونهايتها، وهل بقيت على حالها الأصلى عند مبعث خاتم النبيين ﷺ ؟ فعلى هذا رتبت خطة البحث، كما يلي:

يشتمل البحث على الفصلين: الفصل الأول: اختيار محمد صلى الله عليه وسلم رسولا للدعوة الاسلامية، وهذا الفصل يشتمل على ثلاثة مباحث، المبحث الأول فى بيان حاجة البشر الى الرسول لنرى كيف يحتاج البشر الى الرسل

والدعوة، ولايكفى مطلق خلقه وعقله للسعادة الدنوية ولا الأخروية.

والمبحث الثانى: يشتمل على نموذج القصير عن الدعوات السابقة السماوية حتى نرى هل بقوا على حالة التى بعثوا عليها، لقد اصبحت الديانات العظمى فريسة العابثين والمتلاعبين ولعبة المحرفين والمنافقين حتى فقد روحها وشكلها فلو بعث أصحابها الأولون لم يعرفوها .

المبحث الثالث: يبحث فيه عن وضع بعض الديانات الوضعية المشهورة قبل مبعث خاتم النبيين .

الفصل الثانى: فى بيان اختيار المكة المكرمة مكانا للدعوة الاسلامية، ويحتوى هذا الفصل على أربعة مباحث:

المبحث الاول: فى بيان أهميتها الجغرافية.

المبحث الثانى: فى بيان أهميتها الدينية.

المبحث الثالث: فى بيان أهميتها الاقتصادية.

المبحث الرابع: فى بيان أهميتها السياسية.

والله يوفقنا الى ما فيه خير، وعز فى الاطار الذى رسمه شعارنا الجديد، العلم والايمان.

وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب.

الفصل الاول

المبحث الأول: حاجة البشر الي الرسل.

نحن نؤمن ونوقن بأن حكمة الله تعالى لايدركها البشر وفى نفس الوقت نلمس أن فى مقدور البشر أن يعلم شيئًا من هذه الحكمة من بعض ما يفهم من الآيات القرآنية، ويلخص الموضوع فى النقات التالية:

١ـ ان الله تبارك وتعالى لما خلق ابو البشر آدم عليه السلام خليفة فى الأرض واخرجه من الجنة بعد أن أبتلى، وقال: وَقُلْنَا اهْبِطُوْا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْاَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ اِلٰى حِيْنٍ. (١)

فى هذه الآية: أمر لآدم وحواء عليهما السلام وتبعهما الذرية بالخروج من الجنة العالية الى الأرض، وبيان تعادى ذرية آدم بعضهم بعضا. وقال العلامة الصابونى: فيها خطاب لآدم وحواء وابليس، أي الشيطان عدو لكم فكونوا أعداء له، كقوله تعالى: أن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا. (٢)

وقوله تعالي: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوْا مِنْهَا جَمِيْعًا فَإِمَّا يَاْتِيَنَّكُمْ مِّنِّى هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَاىَ فَلَاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُوْنَ.﴾ [(٣)

وفى هذه الآية ان الله تبارك وتعالى كرر الأمر بالهبوط للتاكيد ولبيان أن

١= سورة البقرة آية رقم: ٣٦] ٢= صفوة التفاسير ص٤٧ ج١ ٣ = سورة البقرة اية رقم: ٣٨]

اقامة آدم وذريته فى الأرض لافى الجنة، فابعث رسولى لكم وكتاب انزله عليكم

اقامة آدم وذريته في الأرض لافي الجنة، فأبعث رسولي اليكم وكتابي أنزله عليكم فمن آمن بي وعمل بطاعتي، لاينالهم خوف ولاحزن في الآخرة.

فتدل الآية الأولى على عداوة ابناء آدم بعضهم لبعض لأن الانسان مدني بالطبع لايستغني عن غيره من الناس بل تحتاج الى الأعمال التي لايستطيع أن يقوم الانسان بمفرده بها، وكانت طبائع الناس متفاوتة المقاصد، ومتنازعة الرغبات والميول والشهوات، وقد يتعارض هذه المقاصد والميول مع حاجات الآخرين، وقد يؤدي طلب تحصيلها الى سفك الدماء وانتهاك الحرمات، والله يعلم أن عقل الانسان قاصر عن وضع النظام الشامل لصلاح المعاش والمعاد، لأن الانسان قد يعجز في كثير من الأحيان عن معرفة مصلحة نفسه فكيف للآخرين؟ لذلك كان الناس محتاجين بالضرورة الى نظام يحمي دمائهم واعراضهم وأموالهم، ويضع لكل ذي حق حقه، ولذلك كان الناس محتاجين الي منهج يضعه احكم الحاكمين وارحم الراحمين الذى لاتخفي عليه خافية لا في الارض ولا في السماء. [(١)

وهذا المنهج يحتاج الى المبين للناس كما يقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُوْلٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ.﴾ (٢)

أي ماارسلنا في الأمم الخالية رسولا من الرسل الابلغة قومه، ليبين لهم شريعة الله ويفهمهم مراده، لتتم الغاية من الرسالة.

---

١ = عبد القادرشية الحمد. الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، ص: ٧ ـ ٨ ٢= سورة ابراهيم اية رقم: ٤

٢ـ تدل الآية الثانية على أن ياتى من الله هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون، وهذه الهداية هى نزول الكتب السماوية، وارسال الرسل لأن الانسان هوذرة من ذرات العالم، يعجز عن ادراك وجوده فى هذه الحياة، كما يعجز عن ادراك الغاية وما فيه الخير له، والله يعلم أن الانسان لايكون شيئا اذا ترک الى نفسه وعقله، ولهذا مقتضى العادل الحكيم أن يرسل الرسل وينبئ الانسان غرض وجوده وهو العبادة كما فى هذه الآية: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ اِلَّا لِيَعْبُدُوْنِ.﴾ (١)

أى وماخلقت الثقلين الانس والجن الالعبادتى وتوحيدى، لالطلب الدنيا والانهماک فيها، قال ابن عباس: الاليعبدون، الاليقروا لى بالعبادة طوعا او كرها، وقال مجاهد: الاليعرفونى. (٢)

وأن يبين له الرّشد من الغى، ويفصل له بين الحق والباطل: (٣)

٣ـ عداوة الشيطان للبشر: حينما طرد من الجنة اوالمنزلة التى كان فيها بترک السجدة لآدم عليه السلام كما قال الله تعالى مخاطبا لابليس بأمر قدرى كونى: ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُوْنُ لَکَ اَنْ تَتَكَبَّرَ فِيْهَا. فَاخْرُجْ اِنَّکَ مِنَ الصَّاغِرِيْنَ.) فعند ذلک استدرک اللعين وسأل النظرة الى يوم الدين و(قَالَ اَنْظِرْنِىْ اِلٰى يَوْمِ يُبْعَثُوْنَ. قَالَ اِنَّکَ مِنَ الْمُنْظَرِيْنَ.) يخبر تعالى أنه لما أنظر ابليس الى

١ = سورة الذاريات، آية رقم: ٥٦ ٢ = العلامة الصابونى، صفوة التفاسير ص ١٨٣ ج ٣

٣= محمد يوسف موسى، الاسلام وحاجة الانسانية اليه، ص: ٢١

يوم يبعثون واستوثق ابليس بذلك اخذ في المعاندة والتمرد و(قَالَ فَبِمَآ اَغْوَيْتَنِىْ لَاَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيْم) اى فبسبب اضلالك لي لاقعدن لآدم وذريته على طريق الحق وسبيل النجاة الموصل للجنة كمايقعد القطاع للسابلة وقال: ثُمَّ لَاٰتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ اَيْدِيْهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ اَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ اَكْثَرَهُمْ شَاكِرِيْنَ.﴾ اى آتى عبادك من كل جهة من الجهات الاربع لاصدهم عن دينك، قال الطبرى: معناه لآتينهم من جميع وجوه الحق والباطل، فاصدهم عن الحق وأحسن لهم الباطل. (١)

فان الشيطان يستغل الضعف البشرى وطبيعة التكوين لهذا المخلوق المزدوج الطبيعة والاتجاه، ويحتال الناس عن الاسلام بعد أن يعرفوه الي الجاهلية، فاذا بلغت هذه الجاهلية مداها، بعث الله للناس رسولا يردهم الى الاسلام، ويخرجهم من الجاهلية، واول مايخرجهم منه هو الدينونة لغير الله من الارباب المتفرقة الي دينونة الله وحده في امرهم كله.(٢)

لأجل ذالك أن يرسل كل هؤلآء الرسل ليبين للناس عداوة الشيطان بأن يتخذوه عدوا. قال تعالى:اِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوْهُ عَدُوًّا)أى ان الشيطان لكم أيها الناس عدو لدود وعداوته قديمة لاتكاد تزول فعادوه أنتم أشد العداوة وخالفوه ، وكذبوه فيما يغريكم به كما عادكم،أى فعادوه بطاعة الله ولاتطيعوه فى معاصي

١= سورة الاعراف، آيات رقم: ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧ ٢= سيد قطب شهيد، في ظلال القرآن، ص: ٢٥٢/ ج: ٣

يوم يبعثون واستوثق ابليس بذلك اخذ في المعاندة والتمرد و(قَالَ فَبِمَآ اَغْوَيْتَنِىْ لَاَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيْم) اى فبسبب اضلالك لي لاقعدن لآدم وذريتة على طريق الحق وسبيل النجاة الموصل للجنة كمايقعد القطاع للسابلة وقال: ثُمَّ لَاٰتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ اَيْدِيْهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ اَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ اَكْثَرَهُمْ شَاكِرِيْنَ.﴾ اى آتى عبادك من كل جهة من الجهات الاربع لاصدهم عن دينك، قال الطبرى: معناه لآتينهم من جميع وجوه الحق والباطل، فاصدهم عن الحق وأحسن لهم الباطل. (١)

فان الشيطان يستغل الضعف البشرى وطبيعة التكوين لهذا المخلوق المزدوج الطبيعة والاتجاه، ويحتال الناس عن الاسلام بعد أن يعرفوه الي الجاهلية، فاذا بلغت هذه الجاهلية مداها، بعث اللّٰه للناس رسولا يردهم الى الاسلام، ويخرجهم من الجاهلية، واول مايخرجهم منه هو الدينونة لغير اللّٰه من الارباب المتفرقة الي دينونة اللّٰه وحده في امرهم كله.(٢)

لأجل ذالك أن يرسل كل هؤلآء الرسل ليبين للناس عداوة الشيطان بأن يتخذوه عدوا. قال تعالى:اِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوْهُ عَدُوًّا)اى ان الشيطان لكم أيها الناس عدو لدود وعداوته قديمة لاتكاد تزول فعادوه أنتم أشد العداوة وخالفوه ،وكذبوه فيما يغريكم به كما عادكم،أى فعادوه بطاعة الله ولاتطيعوه فى معاصي

١=سورة الاعراف، آيات رقم: ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧ ٢=سيد قطب شهيد، في ظلال القرآن، ص: ٦٥٢/ ج: ٣

الله، ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ.﴾ (١) أى يدعو أشياعه وأتباعه والمطيعين له الى معاصي الله سبحانه ، لاجل أن يكونوا من أهل النار التى تشوى الوجوه والجلود، لاغرض له الاهذا وذلک لعداوته لآدم وبنيه. وغيرذلک من الآيات الدالة على عداوة الشيطان للانسان.

٣ـ ان الله تبارک وتعالى خلق البشر للعبادة وهذه العبادة لها احكام منها توحيد الله تعالى فى ذاته وصفاته ، واياته الدالة على كما ل تنزهه عن النقص، وما يجب من عبادته وشكره وذكره، والايمان بالامور الغيبية كاالايمان بالملائكة، والجنة، والنار، وغير ذلک مما يتعلق بالحساب والجزاء والثواب والعذاب، واحوال يوم القيامة من الميزان، وهذا كله يحتاج الى البيان لأن عقل الانسان قاصر عن ادراک هذه الامور، لذلک ارسل الله الرسل الى البشر. (٢)

لأن الله تبارک وتعالى قال: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً.﴾ (٣) أى وما كنا معذبين أحدا من الخلق حتى نبعث لهم الرسل مذكرين ومنذرين فتقوم عليهم الحجة، وهذا اخبار من عدل الله تعالى، وأنه لايعذب أحدا الابعد قيام الحجة عليه بارسال الرسل اليه كقوله تعالى: كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير، قالوا بلى قد جائنا نذير فكذبنا،الآية) وقوله تعالى: وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذركم لقاء يومكم هذا ؟ قالوا: بلى ولكن

١= سورة فاطر، آية رقم: ٦ ٢= السيد محمد رشيد رضا. الوحي المحمدى، ص: ٣٨

٣= سورة بنى اسرائيل، آية رقم: ١٥)

حقت كلمة العذاب على الكافرين. الى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الله تعالى لايدخل أحدا النار الابعد ارسال الرسل اليه، وانزال كتبه، ولايؤاخذهم قبل اقامة الحجة عليهم.

٥ـ روى عبد الله بن عمر بن خطاب رضي الله تعالى عنهما حديثا عن النبى ﷺ قال: ان الله خلق خلقه فى ظلمة والقي عليهم من نوره، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى، ومن اخطأه ضل، فلذلك اقول جف القلم على علم الله.(١)

ولذلك بعث الله تعالى الرسل ليخرجوا الناس من الظلمات الى النور، فمن اجابهم خرج الى النور والاضاء، ومن لم يجبهم بقى فى الضيق والظلمة التي خلق فيها وهى ظلمة الطبع، وظلمة الجهل، وظلمة الهوى، وظلمة الغفلة عن نفسه وكما لها، وما تستعدبه فى معاشها ومعادها، فهذه جملتها ظلمات خُلِقَ فيها العبد، فبعث الله رسله لاخراجه منها الى العلم والمعرفة والايمان والهدى الذى فيه كما له وسعادته فى الدنيا والاخرة.(٢)

٦ـ امتحان من الله تعالى للانسان: لقد امتحن الله الانسان فى هذه الحياة الدنيا بأنواع الفتن من مال وبنين ونساء، واخوان واصدقاء، ورياسات، وسعى فى سبيل العيش وتحصيل اسباب الحياة مما كان لله عند اكثر الناس أعظم الأثر فى

١ـ ابى عيسى محمد بن عيسى، سنن الترمذى، ص: ٢٦، ج: ٥ ٢= هداية الحيارى في اجوبة اليهود والنصارى، محمد بن ابي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، ص: ١٩٢

صرف قلوبهم عن وظيفتها العبودية، وواجب الالهية، وانما كان ذلك الافتتان بتلك الشواغل، وهذه الفواتن ليعلم الله الذين صدقوا وليعلم الكاذبين، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ اى ولقد اختبرنا وامتحنا من سبقهم بأنواع التكاليف والمصائب والمحن ، والمعنى أن هذه سنة الله تعالى قديمة فى عباده ، وأنه يختبر مؤمنى هذه الأمة كما اختبر من قبلهم من الأمم ، كماجاء فى قصص الأنبياء ، وماختبر الله به اتباعهم ومن آمن بهم ، من الأمور التى نزلت بهم. فَلَيَعْلَمَنَّ اللّٰهُ الَّذِيْنَ صَدَقُوْا، وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِيْنَ.(١)

أى فليميزن الله بين الصادقين فى دعوى الايمان، وبين الكاذبين فيه، والله سبحانه وتعالى يعلم ماكان، ومايكون، ومالم يكن، لوكان كيف يكون، وهذا مجمع عليه عند أئمة السنة والجماعة، وبهذا يقول ابن عباس وغيره فى مثل قوله: (الالنعلم) الالنرى، فذلك لأن الرؤية انما تتعلق بالموجود، والعلم أعم من الرؤية فانه يتعلق بالمعدوم والموجود.

وكل ذلك لاسبيل للانسان الى معرفة من قبيل نفسه سبيل النجاح، ولاوصول الى الفوذ بعقله مستقلا، فانها امور خارجة عن حس الانسان، وعالية عن متناول تفكيره وذهنه، فلا سبيل الى النجاح فى هذ الامتحان الامن جهة الرسل المبلغين عن الله تعالى الهداة المهتدين. (٢)

---

١ - سورة العنكبوت، آية رقم: ٣ ٢ = محمد بن عمر المعروف بفخر الدين الرازى، عصمة الانبياء، ص: ٨

وقال الله تعالى: ﴿اَللّٰهُ يَصْطَفِيْ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ.﴾ (١) أي الله يختار رسلا من الملئكة كجبرئيل واسرافيل وميكائيل وعزرائيل، ليكونوا وسطاء لتبليغ الوحي الى أنبيائه، ويختار رسلا من البشر لتبليغ شرائع الدين لعباده، فيختار من الملئكة ملكا يختصه بارساله الى الأنبياء المصطفين من البشر، فيرسل الملك الى النبى والنبى الى الناس.

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ اَئِمَّةً يَهْدُوْنَ بِاَمْرِنَا﴾ (٢) أى جعلنا قدوة ورؤساء لغيرهم يقتدى بهم فى الخيرات، واعمال الطاعات بما أنزل عليهم من الوحى، ويرشدون الناس الى الدين، وَاَوْحَيْنَا اِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ، أى اوحينا اليهم أن يفعلوا الخيرات والعبادات ليجمعوا بين العلم والعمل، وَاِقَامَ الصَّلٰوةِ وَاِيْتَاءَ الزَّكَاةِ، أى وأمرناهم بطريق الوحى باقامة الصلوة وايتاء الزكاة، وانما خصهما بالذكر لأن الصلوة أفضل العبادات البدنية، والزكاة أفضل العبادات المالية وَكَانُوْا لَنَا عَابِدِيْنَ. أى موحدين مخلصين فى العبادة، وفاعلين لما نأمرهم به، وتاركين مانفهاهم عنه.

٧۔ان الانسان يترب من قوتين طبيعتين هما قوة الجسم وقوة الروح، وطبيعة الجسم ارضية منها خلق وعليها يعيش وفيها ينقلب واليها يعود حين يموت ويقبر.

كماقال اللّٰه تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيْهَا نُعِيْدُكُمْ﴾ (٣) أى من تراب الأرض خلقناكم أيها الناس فى ضمن خلق آدم فان أباكم آدم مخلوق من تراب من

١= سورة الحج، آية رقم، ٧٥ ٢= سورة الانبياء آية رقم: ٧٣ ٣= سورة طه آية رقم: ٥٥

أديم الأرض، واليها تعودون بعد مماتكم فتدفنون فيها، وتتفرق أجزاؤكم حتى تصير من جنس الأرض، فتصيرون ترابا. ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾. أى ومن الأرض نخرجكم مرة أخرى للبعث والحساب، وطبيعة الروح سماوية منها تهبط واليها تفزع وترفع حين تفارق الجسم، ومن الناس من يتاءثر بطبيعة الجسم لايتفكر الا في شان الارض، ولايسعي الا لحظوظ الجسم ولذائذ البدنية والنفسية، ومنهم من يتاثر بطبيعة الروح فلا ينظر الا الى السماء ويمحن اليها ويتفكر في المظاهر العلوية والأجرام الفلكية يهتدى بها الى خالقها ومدبر أمرها.

ولما كان الانسان شيئا يتنازع فيه هذان القوتان ولايكفيه عقله وحده لتدبير امره ولايغنيه فى التخلص من ورطات الهوى والشيطان، ولا يسعفه فى تعرف الصواب والجمال والكمال فى شئون دينه ودنياه، وكل تلك المشاكل لايتوصل الى حلولها الابعثة الرسل الذين اصطفاهم الله تعالى واختارهم ممن تغلب روحانيهتم على جسمانيتهم، وتسيطر على حيوانيتهم ينزل عليهم وحى السماء ليحملوه ويبلغوه للناس، ويذكرونهم بما نسوا ويئسوا منه. (١)

٨ـ قد اقتضت حكمة الله تبارك وتعالى أن يبعث فى كل امة نذيراً ليرسم لهم الطريق الى الله وليدلهم على مراسم سعادتهم الدنيوية والأخروية ولئلا يقول المنحرفون ماجاء نا من بشير ولانذير كما قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ (٢)

---

١ = ادم عبد الله الالورى. تاريخ الدعوة الاسلامية، ص: ٢١   ٢ = سورة النساء، آية رقم: ١٦٥

أى مبشرين لأهل الطاعات بالجنة، ومنذرين لأهل المعاصى بالنار. لِئَلَّا يَكُوْنَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّٰهِ حُجَّةٌ مِنْ بَعْدِ الرُّسُلِ، أى بعثهم الله ليقطع حجة من يقول لوأرسل الي رسولا لآمنت وأطعت، فقطع الله حجة البشر بارسال الرسل وانزال الكتب. كما روى عن عبد الله ابن مسعودؓ قال: قال رسول الله ﷺ ليس أحد أحب اليه المدح من الله، من اجل ذلك مدح نفسه، وليس أحد أغير من الله، من اجل ذلك حرم الفواحش ماظهر منها ومابطن، وليس أحد أحب اليه العذر من الله، من اجل ذلك انزل الكتب وارسل الرسل.(١)

وقد بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين. وَكَانَ اللّٰهُ عَزِيْزًا حَكِيْمًا. أى عزيزا فى ملكه حكيما فى صنعه.

وقال تعالي: ﴿يَا اَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَ كُمْ رَسُوْلُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيْرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُوْنَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ (٢)

الخطاب لليهود والنصارى أى يامعشر أهل الكتاب قدجائكم رسولنا محمد ﷺ بالدين الحق، يبين لكم الكثير مماكنتم تكتمونه فى كتابكم من الايمان به، ومن آية الرجم، ومن قصة أصحاب السبت الذين مسخوا قردة وغيرذلك مماكنتم تخفونه.(وَيَعْفُوْا عَنْ كَثِيْرٍ، أى يتركه ولايبينه وانمايبين لكم مافيه حجة على نبوته وشهادة على صدقه، ولوذكر كل شئ لفضحكم.) (قَدْ جَائَكُمْ مِنَ اللّٰهِ نُوْرٌ وَكِتَابٌ

١= صحيح مسلم كتاب التوبة حديث نمبر ٢٩٥٨ ٢= سورة المائدة، آية رقم: ١٥

مُبِيْنٌ. أى جائكم النور محمد ﷺ، وقيل الاسلام او القرآن، لأنه مزيل لظلمات الشرك والشك، وهو كتاب مبين ظاهر الاعجاز) (يَهْدِيْ بِهِ اللّٰهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ، أى يهدى بالقرآن من اتبع رضا الله طرق النجاة والسلامة ومناهج الاستقامة) (وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ اِلَي النُّوْرِ. أى يخرجهم من ظلمات الكفر الى نور الايمان بتوفيقه وارادته. وَيَهْدِيْهِمْ اِلٰى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍ. أى دين الاسلام.

فحاجة الناس الى الدعوة الاسلامية لاتقل عن حاجتهم الى الطعام والشراب، واذا كانوا لايستغنون عما يقيم أرواحهم وما يصلح أبدانهم، ويكون سببا فى استمرار حياتهم الحياة الدنيوية المحدودة، فانهم فى امس الحاجة الى مايهدى عقولهم ويطب لقلوبهم، ويأخذبايديهم الى بر السلامة والأمان، ويسلك بهم طريق السعادة الحقة فى الحياتين الاولى والاخرة، وليس ذلك الا فى الدعوة الاسلامية التى جاء بها الوحى على خاتم الانبياء والمرسلين نبينا محمدﷺ. (١)

كما يقول الله تعالى مخبرا عن الكتاب الذى انزل على عبده ورسوله الأمين ﷺ : وَاِنَّهُ لَتَنْزِيْلُ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ. أى وان هذالقرآن المعجز الذى تقدم ذكره فى اول السورة أنزله الله عليك واوحاه اليك.) (نَزَلَ بِهِ الرُّوْحُ الْأَمِيْنُ. أى نزل به ملك كريم، أمين السماء، ذومكانة عند الله، مطاع فى الملأ الأعلى جبريل عليه السلام) (عَلٰى قَلْبِكَ لِتَكُوْنَ مِنَ الْمُنْذِرِيْنَ. أى أنزله على قلبك يامحمد سالما من

---

١ = دعلي عبد اللطيف مخور. و د. محمد عبد السميع جاد، مذكرة طرق الدعوة. ص: ١

الـدنـس والـزيـادة والنقصان، لتحفظه وتنذر بآياته المكذبين بما تضمنه من التـحـذيـرات والانـذارات والـعـقـوبـات، وتبشـر بـه المؤمنين المتبعين له) (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِيْنٍ. أى بلسان عربي فصيح هولسان قريش، وجعل الله سبـحـانـه الـقـرآن عـربـيـا بـلسان الرسول العربى لئلايقول: مشركوالعرب مـافـائـدة كـلام لانـفـهـمـه مـاتقوله بغيرلساننا؟ فقطع بذلك حجتهم ودفع مـعـذرتهم. قـال ابن كثير: أنزلناه باللسان العربى الفصيح الكامل الشامل، ليكون بينا واضحا ظاهرا، قاطعا للعذر مقيما للحجة، دليلا الى المحجة. (١)

ارسال الرسول بعد الرسول

كـمـا ذكرنا فى المـبـحـث الـسـابق بأن الانسان كما يقولون مدنى بطبعه فهو متـديـن بـفـطرتـه، وما كان للبارئ جلت حكمته أن يخـ ـق الخلق ويوجد البشر ثم يتركه هملا بلا عقل ولا عاطفة ولادين، فالدين متاصل فى النفسوس والاعتراف بالربوبية فى اعماق البشر منذ الأزل.

وايـضـا الـدين مركوز فى الطباع مترسب فى اعماق منذ الانسان الاول، منذ الميثاق الاول. ولله سبحانه وتعالى مواثيق وعهود عقود أخذهما على الناس جميعًا

١ - سورة الشعراء آيات: ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥

ليوفوا بها ويعملوا بمضا مينها، فيضمن لهم الأمان فى الأولى، والفوز والنجاة فى الآخرة. هناك عهد اكبر وميثاق رباني اخذه اللّٰه تعالى على الناس جميعا وهم فى ظهر الغيب وفى ظهور آبائهم فى اللحظات الاولى عند بدء الخليفة، وعند ظهور البشرية بوجوده وتعترف بالوهيته. حيث يخبر تعالى أنه استخرج ذرية بنى آدم من أصلابهم، شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم، وأنه لآاله الاهو، كما أنه تعالى فطرهم على ذلک وجبلهم عليه، قال اللّٰه تعالى: ﴿وَاِذْ اَخَذَ رَبُّکَ مِنْ بَنِىْ آدَمَ مِنْ ظُهُوْرِهِمْ ذُرِّيَتَهُمْ﴾ (١)

أى واذكر يامحمد اذاستخرج ربک اولاد آدم من اصلاب آبائهم فقررهم بتوحيده وأشهد بعضهم على بعض بذلک، قال ابن عباس: مسح الله ظهر آدم فاستخرج منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيمة.) (وَاَشْهَدَهُمْ عَلَى اَنْفُسِهِمْ اَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوْا بَلٰى شَهِدْنَا، أى وقررهم على ربوبيته ووحدانيته فأقروا بذلک والتزموه.) (اَنْ تَقُوْلُوْا يَوْمَ الْقِيٰمَةِ اِنَّا كُنَّا عَنْ هٰذَا غَافِلِيْنَ). أى لئلا تقولوا يوم الحساب انا كنا عن هذا الميثاق والاقرار بالربوبية غافلين لم ننبه عليه.

هذا هو الميثاق الأول والعهد العام الذى عاهد به الناس وهم اجنة فى ظهر الغيب. فالدين القيم هو فطرة اللّٰه وصبغة اللّٰه، وأن الناس جميعا خلقوا على هذه الفطرة الدينية وعلى تلک الجبلة القائمة على معرفة اللّٰه والاعتراف به. (٢)

١- سورة الاعراف، آية رقم: ١٧٢ ٢- الدكتور محمد بن الشريف، الاديان فى القرآن، ص: ١١]

قال اللّٰه تبارک وتعالى: ﴿فَاَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيْفًا فِطْرَتَ اللّٰهِ الَّتِیْ فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا، أى هذا الدين الحق الذى أمرناک بالاستقامة عليه هو خلقة الله التى خلق الناس عليها وهو فطرة التوحيد.) (لَا تَبْدِيْلَ لِخَلْقِ اللّٰهِ، أى لاتغير لتلک الفطرة السليمة من جهته تعالى، قال ابن جوزى: لفظه لفظ النفى ومعناه النهى أى لاتبدلوا خلق الله بعبادة غير الله بل ابقوا على فطرة السلام والتوحيد، فتغيروا الناس عن فطرتهم التى فطرهم الله عليها.) (ذٰلِکَ الدِّيْنُ الْقَيِّمُ) أى لزوم الفطرة هو الدين المستقيم.) (وَلٰكِنَّ اَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُوْنَ.﴾ (١) أى اكثر الناس جهلة لايتفكرون فيعلمون أن لهم خالقا معبودا.

وفى الحديث عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كُلُّ مَوْلُوْدٍ يُوْلَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ حَتّٰى يعرب عنه لسانه فَاَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ اَوْ ينصرانه اَوْ يُمَجِّسَانِهِ.(٢)

وفى الحديث عن مسلم بن يسار الجهنى أن عمر بن الخطاب سئل عن هذه الآية: (وَاِذْ اَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِیْ آدَمَ مِنْ ظُهُوْرِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَاَشْهَدَهُمْ عَلٰى اَنْفُسِهِمْ اَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوْا بَلٰى شَهِدْنَا) الآية، فقال عمر بن الخطاب: سمعت رسول الله ﷺ سئل عنها، فقال: ان الله خلق آدم عليه السلام ثم مسح ظهره بيمينه، فاستخرج منه ذرية، قال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح

١= سورة الروم، آية رقم: ٣٠ — ٢= مسلم بن حجاج القشيرى، صحيح مسلم، ص: ٢٠٣٨، ج: ٣

ظهره فاستخرج منه ذرية، قال: خلقت هؤلاء للنار، وبعمل أهل النار يعملون، فقال رجل: يارسول الله! فيم العمل؟ قال رسول الله ﷺ اذاخلق الله العبد للجنة استعمله بأعمال أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال الجنة فيدخله به الجنة، واذا خلق العبد للنار استعمله بأعمال أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار. (١)

فكلمة الدين تستعمل في كلام العرب بمعان شتى واهمها مايأتي: ١ـ القهر والسلطة والحكم والامر.

٢ـ الطاعة والعبودية والخدمة والخضوع تحت غلبة لله وقهره، يقول العرب دنتهم فدانوا اى قهرتهم فأطاعوا.

٣ـ الشرع والقانون والطريقة والمذهب والملة والسعادة والتقليد، فيقولون: ما زال ذلك ديني وديدني اى دابي وعادتي.

٤ـ الجزاء والمكافاة والقضاء والحساب، فمن امثال العرب كما تدين تدان اى كما تصنع بغيرك يصنع بك وتجازى. (٢)

قيل الدين هو الشعور الخفي الذي يجعل الانسان مؤمنا بشيئ فيعظمه ويرهبه. واسباب التدين ثلاثة: شعور الناس بوجود قوة اعظم شانًا، واعتقادهم بأن لهم صلة بهذه القوة وسعيهم الى ايجاد واسطة لتوثيق هذه الصلة. (٣)

١= ١رواه الترمذى كتاب التفسير حديث نمبر ٣٠٠١ ٢= عبد الرحمن النحلاوى. اصول التربية الاسلامية، ص: ١٥ ٣= آدم عبد الله الالورى. تاريخ الدعوة الاسلامية، ص: ٢٣]

كانت العرب تستعمل هذه الكلمة كما رائينا بهذا المعنى مرة وبذلك تارة اخرى حسب لغاتهم المختلفة ومواقعهم المتعددة، فكان استعمال كلمة الدين مشوبا بشوائب اللبس والغموض حتى نزل القرآن فاستعملها لمعانيه الواضحة المتميزة، وانما ميز القرآن كلمة الدين واوضح معناها حين جعلها بمعانيها اللغوية الاربعة تقوم مقام نظام باكمله يتالف من اجزاء اربعة هي: ١ـ الحاكمية والسلطة العليا الالهية.

٢ـ الطاعة والاذعان لتلك الحاكمية والسلطة من قبل اتباع الدين او المخلوقات.

٣ـ النظام الفكرى والعلمى الذى اوجدته تلك السلطة والمحاكمة.

٤ـ المكافات التى تكافئ بها السلطة او الجزاء الذى تجزى به على اتباع ذلك النظام بالخضوع والاخلاص له او التمرد عليه والعصيان له.(١)

ثم أنذر تعالى بنى آدم أنه سيبعث اليهم رسلا يقصون عليهم آياته وبشر وحذر فقال: ﴿يٰبَنِيٓ آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّوْنَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي، المراد ببنى آدم جميع الأمم والمعنى ان يجيئكم رسلي الذين أرسلتهم اليكم يبينون لكم الأحكام والشرائع، أى فأطيعوا هؤلآء الرسل وصدقوهم وتابعوهم.) (فَمَنِ اتَّقٰي وَاَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُوْنَ﴾ (٢) أى فمن اتقى منكم ربه بفعل

١= عبد الرحمن النحلاوى. اصول التربية الاسلامية، ص: ١٥ ٢= سورة الاعراف، آية رقم: ٣٥

الطاعات وترک المحرمات، واصلح باتباع الرسل واجابتهم، فلاخوف عليهم فی الآخرة من ظلم اوعذاب ينالهم ولاهم يحزنون يوم القيامة علی ما اصابهم فی الدنيا

فالنداء الالهی فی تلک الآية يدل دلالة قاطعة علی العموم والشمول لجميع ابناء آدم المتفرقين فی الارض شرقا وغربا فی کل بقعة، فی کل قطر، فی کل صقع عمره بنوا آدم جاءتهم رسل علی مر العصور، والحق برسل منهم فرسل الشرق لم ترسل للغرب انذاک بل لکل جماعة شرقية او غربية رسل هداة منهم، ثم کانت الرسالة المحمدية العالمية للشرق والغرب، للعرب والعجم وللانسانية کافة من يوم البعثة الی يوم الدين، وقد اقتضت حکمة الله أن يرسل الرسل بعضهم إثر بعض حتی لايطول امد الانذار علی الناس فيفسقوا او يضلوا مصداقا لقوله تعالی: ﴿ثُمَّ اَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ (١) أی بعثنا الرسل متتالين واحدا بعد واحد، قال ابن عباس: يتبع بعضهم بعضا مُرْسَلِيْنَ الی تلک الأمم) (کُلَّمَا جَاءَ اُمَّةً رَّسُوْلُهَا کَذَّبُوْه، تشنيع عليهم بکمال ضلالتهم أی أن جمهورهم واکثرهم سلکوا فی تکذيب أنبيائهم مسلک من سبقهم من الضالين المکذبين ولهذا قال فَاَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا، أی الحقنا بعضهم فی اثربعض بالهلاک والدمار، بمانزل بهم من العذاب.) (وَجَعَلْنٰهُمْ اَحَادِيْثَ) أی أخبارا تروی وأحاديث تذکر، يتحدث الناس بماجری عليهم تعجبا وتسلية.) (فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُوْنَ) أی فهلاکا ودمارا لقوم لايصدقون الله ورسله.

---

١ = سورة المؤمنون. آية رقم: ٤٣

كـمـا اقتضـت حـكمته أن يرسل اكثر من رسول فى وقت واحد لأمة واحدة كما ارسل موسى وهارون لبنى اسرائيل.

كـمـا قـال الـلّٰه تعالى: ﴿ثُمَّ اَرْسَلْنَا مُوْسٰی وَاَخَاهُ هَارُوْنَ بِاٰيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِيْنٍ﴾ أى أرسـلـنا هما بآياتنا البينات، وحجة واضحة ملزمة للخصم) (اِلٰي فِرْعَوْنَ وَمَلَائِه) أى أرسـلنا هما الى فرعون الطاغية وأشراف قومه المتكبرين. (فَاسْتَكْبَرُوْا) أى عن الايـمـان بـالـلـه وعبادته، فلم ينقادوا للحق) (وَكَانُوْا قَوْمًا عَالِيْنَ﴾ (١) أى متكبرين متمردين قاهرين لغيرهم بالبغى والظلم، ومستعلين عليهم.

الأنبياء والرسل هم الذين اصطفا هم اللّٰه من بنى البشر يحملون دعوته لعباده يبشـرون مـن آمـن منهـم وعـمل صالحا بحسن الثواب والمكا فاة فى الحياة الدنيا والآخـرة وينـذرون مـن كـفـر وعـمـل سيئـا بالعقاب وسوء المصير. كماقال الله تـعـالـى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِيْنَ اِلَّا مُبَشِّرِيْنَ وَمُنْذِرِيْنَ، أى مانرسل الرسل الا لتبشير الـمؤمنين بالثواب لمن أطاعهم بما أعد الله لهم من الجزاء العظيم، وانذار الكافرين بـالـعـقـاب لـمـن عـصـاهـم بـمـالهـم عـنـد الله من العذاب الوبيل، وليس ارسالهم ليـأتـو ابمايقترحه الكافرون من الآيات،) (فَمَنْ آمَنَ وَاَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَـحْزَنُوْنَ﴾ (٢) أى فمن آمن بهم وأصلح عمله بفعل مايدعونه اليه، فلاخوف عليهم بوجه من الوجوه فى الآخرة ولاهم يحزنون على مافاتهم من الدنيا، والمراد أنهم

١ = سورة المؤمنون، آيات رقم: ٤٥ - ٤٦] ٢ = سورة الانعام، آية رقم: ٤٨

لايخافون ولايحزنون، لأن الآخرة دار الجزاء للمتقين.

وهؤلآء الانبياء والرسل يتلقون العلم عن اللّٰه بواسطة العقل والحواس على ضروب شتى: منها الالقاء في الروع والسماع المباشر من ملك يتمثل في صورة بشرية، اوالرويا الصادقة اثناء النوم، او غير ذلک من الحالات الروحية التي لايدركها غير نبي ويسمى هذا الاسلوب التعليمي المخالف للسنن العادية وحيا(١)

حالة الاديان السماوية قبل الاسلام

ووظائف النبوة تتلخص في ثلاثة امور: اولا الدعوة الى الايمان باللّٰه ووحدانيته، ثانيا الايمان باليوم الآخر والجزاء فيه على الاعمال، ثالثا تبيان الشرائع التي فيها صلاح الانسان وسعادته في الدنيا والاخرة.

والأنبياء والرسل كثيرون أما الذين ذكرهم القرآن فهم (٢٥) : ١ـ آدمٌ. ٢ـ ادريسٌ. ٣ـ نوحٌ. ٤ـ هودٌ. ٥ـ صالحٌ. ٦ـ ابراهيمٌ. ٧ـ لوطٌ. ٨ـ اسمٰعيلٌ. ٩ـ اسحٰقٌ. ١٠ـ يعقوبٌ. ١١ـ يوسفٌ. ١٢ـ شعيبٌ. ١٣ـ ايوبٌ. ١٤ـ ذوالكفلٌ. ١٥ـ موسىٌ. ١٦ـ هارونٌ. ١٧ـ زكرياٌ. ١٨ـ داودٌ. ١٩ـ سليمانٌ. ٢٠ـ الياسٌ. ٢١ـ اليسعٌ. ٢٢ـ يونسٌ. ٢٣ـ يحيٌ ٢٤ـ عيسىٌ. ٢٥ـ محمد عليهم الصلوٰة والسلام اجمعين.

وهناک رسل آخرون لم ترد اسمائهم في القرآن ولكن اشار اللّٰه اليهم بقوله مخاطبا رسوله محمد صلى اللّٰه عليه وسلم. ﴿وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾ أى وأرسلنا رسلا منهم من ذكرنا أخبارهم لک يامحمد في غير هذه السورة)

---

١ = عفيف عبد الفتاح طبارة. مع الانبياء في القرآن الكريم. ص: ١١

﴿وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ (١) اى ورسلا آخرين لم نخبرك عن أحوالهم.

١ـ اما آدم عليه السلام فكل ما ورد عنه يمكن تلخيصه فى قصة خلقه ودخوله الجنه وخروجه منها، وموقف ابليس معه، وحديث موجز عن ولديه من غير اشارة الى مبادى دعوته او فروعها.

تبداء قصة خلق آدمٌ بتلك المحاورة بين الله تعالى والملائكة: ﴿وَإِذْقَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ) أى اذكر يامحمد حين قال ربك للملآئكة واقصص على قومك ذلك. (إِنِّيْ جَاعِلٌ فِي الْاَرْضِ خَلِيْفَةً) أى خالق فى الأرض ومتخذ فيها خليفة يخلفنى فى تنفيذ أحكامى فيها، او الخليفة لمن كان قبله من الملآئكة، وهو آدم اوقوما يخلف بعضهم بعضا قرنا بعد قرن، وجيلا بعد جيل، خاطب الله الملآئكة بهذا الخطاب لاللمشورة ولكن لاستخراج ماعندهم. (قَالُوْا اَتَجْعَلُ فِيْهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيْهَا، أى قالوا على سبيل التعجب والاستعلام: كيف تستخلف هؤلآء، وفيهم من يفسد فى الارض بالشرك وفعل المعاصى. (وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ) أى يريق الدماء بالبغى والاعتداء، قالوا هذه المقالة لعلم قد علموه من الله سبحانه وتعالى بوجه من الوجوه لأنهم لايعلمون الغيب. (وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ) أى ننزهك عما لايليق بك متلبسين بحمدك. (وَنُقَدِّسُ لَكَ) أى نعظم أمرك ونطهر ذكرك مما نسبه اليك الملحدون، وافتراء الجاحدون (قَالَ إِنِّي اَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُوْنَ﴾(٢)

١= سورة النساء. آية رقم: ١٦٤ ٢= سورة البقرة. آية: ٣٠.

أى أعلـم من المصالح ماهو خفي عليكم، ولى حكمة فى خلق الخليفة لاتعلمونها، عـن قتـادة فـى تـفسيرها قال: كان فى علم الله أنه سيكون من الخليقة أنبياء ورسل وقوم صالحون وساكنوا الجنة.

أما دخوله الى الجنة قال الله تعالى عنه ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ) أى اسكن فى جنة الخلد مع زوجك حواء. (وَكُلاَ مِنْهَا رَغَدًا) أى كلا من ثـمار الجنة أكلا رغدا واسعا. الرغد: العيش الهنئ الذى لاغناء فيه. (حَيْثُ شِئْتُمَا) أى من أى مكـان فى الجنة اردتما الأكل فيه. (وَلاَ تَقْرَبَا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ) أى لاتأكلا من هـذه الشجـرة قـال ابـن عبـاس: هـى الكرمة. قيل: السنبلة. قيل: التين. وقيل الحنطة. المنهى عنـه هـوالأكـل مـن ثـمار الشجرة، وتعليق النهى بالقرب منها (ولاتقربا) لقصد المبالغة فى النهى عن الأكل، اذالنهى عن القرب نهى عن الفعل بطريق أبلغ كقوله تعالى: (وَلاَتَقْرَبُوا الزِّنَا) فنهى عن القرب من الزنا ليقطع الوسيلة الى ارتكـابها. (فَتَكُوْنَا مِنَ الظَّالِمِيْنَ. أى فتصيرا من الذين ظلموا انفسهم بمعصية اللـه أما خـروجـه من الجنة، وموقف ابليس معه، قال الله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطٰنُ عَنْهَا﴾ (١) أى أوقعهمـا علـى الـزلة بسببها وأغواهما بالأكل منها هذا اذاكان الـضمير عائـدا الـى الشجـرة، أما اذاكان عائدا الى الجنة فيكون المعنى أبعدهما وحولهمامن الجنة﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيْهِ﴾(٢)أى من النعيم والكرامة أومن الجنة

١= سورة البقرة. آية رقم: ٣٥
٢= سورة البقرة. آية رقم: ٣٦

وانـمـانـسـب ذلـك الـى الـشـيطان لأنه الذى تولى اغواء آدم حتى اكل من الشجرة، بوسوسته وادعائه لهما أنها شجرة الخلد وملك لايبلى فأمرهما الله بالخروج الآية

لـم يـذكـر القرآن لفظ النبوة بازاء آدمؑ كما ذكر بازاء غيره من الأنبياء، ولكن ذكـر أن الـلّـه تـعالى خاطبه بلاواسطة فامره ونهاه واحل له وحرم عليه وهذا هومعنى النبوة.

٢ـ دعـوة ادريـس عـلـيـه الـسـلام: ادريسؑ من الأنبياء الذين ورد ذكرهم فى الـقـرآن قـال تـعالى عنه: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ أى اذكر يامـحـمـد فى الكتاب الجليل خبر ادريس أنه كان ملازما للصدق فى جميع أحواله، مـوحى اليه من الله، قال المفسرون: ادريس هوجد نوحؑ، وأول مرسل بعد آدمؑ، وأول مـن خط بالقلم، ولبس المخيط، وكانوا من قبل يلبسون الجلود، وقد أنزل الله عليه ثلاثين صحيفة﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ (١)أى رفعنا ذكره وأعلينا قدره، بشرف النبوة والزلفى عند الله، وقيل: المراد ان الله رفعه الى السماء الرابعة، كما رواه مسلم فى صـحـيـحه من حديث أنس بن مالك عن النبى ﷺ فى حديث طويل حيث قال: ثم عرج بنا الى السماء الرابعة فاستفتح جبريل عليه السلام قيل من هذا قال جبريل قيل ومـن مـعـك قال محمد قال وقد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بادريس فرحب ودعا لى بخير. قال الله عزوجل ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾(٢)

١ـ سورة مريم. آيات: ٥٦ـ٥٧ ٢ـ رواه مسلم فى صحيحه كتاب الايمان حديث نمبر ٢٣٣

وفى الترمذى عن قتادة فى قوله:(وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا) قال حدثنا أنس ابن مالك أن نبى الله ﷺ قال لما عرج بى رأيت ادريسؑ فى السماء الرابعة.(١)

والقرآن لم يذكر شيئًا مفصلا عن حياته وتعاليمه كما أنه ليس هناك سند تاريخى ثابت عن حياته، وابرز من تعرض للكلام عنه كتاب تاريخ الحكماء الذى سننقل بعض الشذرات مما جاء فيه، منقلها لاعلى أنها حقائق ثابتة بل من باب الاطلاع.

ماجاء فى كتب المؤرخين عن ادريس عليه السلام يروى أنه ولد بمدينة (ادفو) حيث هبط أهله الذين كانوا يسكنون ببابل ثم رحلوا الى مصر، وانه كان يسمى، جورروس، وقيل ان ادريس هوخانوخ باللغة العبرية الذى اطلق عليه باللغة العربية، اخنوخ، وسمى فى اللغة الهير وغليفية، خورروس، اوهورروس، وعرف فى اللغة اليونانية باسم، هرماكس، ثم عرف باسم، هرمس، وسماه البطالة فيما بعد، اغثا ذى مون المصرى، وسمى فى الكتب المنزلة، ادريس.

ونسبه هو ادريس بن مهائيل بن فينان بن آنوس بن شيث بن آدم عليه السلام.

وقد ذكر المؤرخون أن مدة حياته كانت اثنين وثمانين سنة، عاش خلالها يدعو الناس الى عبادة الله وتوحيده وتنزيهه عن كل شرك، كما دعا الى الزهد والمحبة والعدل والاحسان، وكان قربانه القبول والذبائح، وأنه أول من عرف

---

١ رواه الترمذى كتاب تفسير القرآن حديث نمبر ٣٠٨٢

العلوم الكونية والجيولوجية والرياضية، وكثيرا من لغات أهل الأرض حتى قيل كانت توهله لأن يكون الداعى المجاب.(١)

٣ـ دعوة نوح عليه السلام: سيدنا نوح هو ابو البشر الثانى، وأول أولى العزم من الرسل أرسله الله الى قومه، فقال الله تعالى: (لَقَدْ اَرْسَلْنَا نُوْحاً اِلٰى قَوْمِهٖ) اللام جواب قسم محذوف أى والله لقد أرسلنا نوحا. ونوحٌ شيخ الأنبياء لأنه أطول عمرا وهو أول نبي بعثه الله بعد ادريسٌ، ولم يلق نبي من الأذى مثل نوحٌ فأخذ يدعوهم مدة استمرت الف سنة الا خمسين عاما، لقد كان قوم نوح يعبدون أصناما متعددة، وينقسمون الى طبقات عديدة، ومن هنا دعاهم نوحٌ الى توحيد الله تعالى واخلاص العبادة له والخوف منه. فقال لهم: (اِعْبُدُوْا اللّٰهَ مَا لَكُمْ مِنْ اِلٰهٍ غَيْرُهُ) أى وحدوا الله ولاتشركوا به فمالكم اله مستحق للعبادة غيره﴿ اِنِّىْ اَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيْمٍ﴾ (٢) أى ان أشركتم به ولم تؤمنوا فأنا أخاف عليكم عذاب يوم عظيم هويوم القيامة.

واخيرا قال قوم نوحٌ لنوحٌ:﴿يَانُوْحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَاَكْثَرْتَ جِدَالَنَا) أى قال قوم نوحٌ لنوحٌ قد خاصمتنا فأكثرت خصومتنا، ودفعتنا بكل حجة. (فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا اِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِيْنَ﴾ (٣) أى فأتنا بالعذاب الذى كنت تعدنا به ان كنت صادقا فى ماتقول.

١= محمد فؤاد الهاشمي. الأديان في كفة الميزان. ص: ٢١ـ ٢٢ ٢= سورة الاعراف. آية رقم: ٥٩

٣= سورة هود. آية رقم: ٣

وبعد ما بذل نوحٌ كل ما في وسعه من ترغيب وترهيب طيلة هذه المدة الطويلة بلا فائدة، اتجه الى ربه، وقص له ماحدث من قومه وسأله أن يعاقبهم، فامره الله بصنع سفينة تحمله وتحمل القلة المؤمنة معه، فلما اتم صنعها ركب المؤمنون فيها واخذوا معهم من كل زوجين اثنين، وبعد ذلك نزل المطر مدرارا، وتفجرت الأرض عيونا وكانت النتيجة هلاك الكافرين وفيهم امرأة نوح وابنه، ونجى الله المؤمنين جزاء طاعتهم. (١)

٣ـ دعوة هود عليه السلام: سكنت عاد في جنوب الجزيرة العربية في منطقة الأحقاف باليمن، ووصلوا الى مستوى رفيع من التقدم الحضارى، حيث شيدوا الحصون العالية، واقاموا القصور الشامخة واسسوا المصانع الكبيرة، وملكوا كثيرا من اسباب القوة والجبروت، وكان عليهم ان يتجهوا بسبب كل هذه النعم الى شكر الله لكنهم استغلوها في اللهو والمجون، واستعملوا قوتهم في البطش على الضعفاء من الناس، واتجهوا الى عديد من الأصنام والأوثان يعبدونها من دون الله، لكل هذا أرسل الله الى عاد اخاهم هودا، أى واحدا منهم بدعوة الله، آمرا لهم بعبادة الله وحده لاشريك له ناهيا لهم عن الأوثان التى افتروها واختلقوا لها أسماء الآلهة، وأخبرهم أنه لايريد منهم أجرة على هذا النصح والبلاغ من الله انما يبغى ثوابه من الله الذى فطره، فقال لهم: ﴿يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ أى اعبدوا الله

---

١ = دكتور احمد احمد غلوش. الدعوة الاسلامية. ص: ١٣١

وحده دون الآلهة والأوثان. ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ (١) أي ما أنتم في عبادتكم غير الله الا كاذبون عليه جل وعلا، لأنه لااله سواه.

ولقد تناول هود عليه السلام كافة الوسائل الممكنة، فبين دعوة الله برفق، ووضح الأدلة التي تؤيد هذه الدعوة، وجعلها أدلة بسيطة تلامس المحسوس عند الناس، ورغب قومه في نعم عديدة تأتيهم أن آمنوا بخالقهم واعبدوه وحده، وخوفهم من عذاب الله ينزل بهم ان لم يؤمنوا، وكل هذا لم يحقق عند القوم شيئا فقالوا له: ﴿قَالُوا يَاهُودُ مَاجِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ أي ماجئتنا بحجة واضحة تدل على صدقك، قال الألوسي: وانماقالوه لفرط عنادهم، أولشدة عماهم عن الحق. ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ﴾ أي لسنا بتاركين عبادة الأصنام من أجل قولك ﴿وَمَانَحْنُ بِمُؤْمِنِيْنَ﴾ أي لسنا بمصدقين لنبوتك ورسالتك، والجملة تقنيط من دخولهم في دينه. ﴿قَالُوْا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ وَنَذَرُ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ أي أجئتنا ياهود تتوعدنا بالعذاب كي نعبد الله وحده ونهجر عبادة الآلهة والأصنام ونتبرأ منها؟ وانما كان هذا مستنكرا عندهم لأنهم وجدوا آبائهم على خلاف مادعاهم اليه ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِيْنَ﴾ (٢) أي فأتنا بماتعدنا به من العذاب فلن نؤمن لك ان كنت من الصادقين في قولك ، هذا استعجال منهم للعذاب الذى كان هود يعدهم به، لشدة تمردهم على الله.

١= سورة هود، آية رقم: ٥٠

٢= سورة الاعراف، آية رقم: ٧٠

وكان جواب قوم هود له، بعد ماحذرهم وأنذرهم وبين لهم الحق ووضحه، أن قالوا له: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾ (١) أى يستوى عندنا تذكيرك لنا وعدمه، فلانبالى بماتقول، ولانرجع عن شئ ممانحن عليه، قالوا ذلك تعجيزا له وتيئيسا لئلا يستمر على دعوتهم. قال ابوحيان: جعلوا قوله وعظا على سبيل الاستخفاف وعدم المبالات بماخوفهم به اذلم يعتقدوا صحة ماجاء به، وأنه كاذب فيما ادعاه.

وكانت نهاية هؤلآء الناس أن ارسل الله عليهم عذابه الذى بدأ بمقدمات عنيفة، حيث اجدبت الأرض، واشتد الحر، وانقطع المطر، وغاصت الآبار، وغابت عنهم هذه النعم التى بعدوها، واخيرا اتت. ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾ أى فلما رأوا السحاب معترضا فى أفق السماء متجها نحوأوديتهم استبشروا به ﴿قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا﴾ أى وقالوا هذا السحاب يأتينا بالمطر، قال المفسرون: كانت عاد قد أبطأ عنهم المطر، وقحطوا مدة طويلة من الزمن، فلما رأوا ذلك السحاب العارض ظنوا أنه مطرففرحوا به واستبشروا وقالوا: هذا عارض ممطرنا ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ﴾ أى قال لهم هود: ليس الأمر كمازعمتم أنه مطر، بل هوما استعجلتم به من العذاب، حيث قالوا (فأتنا بماتعدنا) ويحتمل أن هذا من قول الله لهم. ثم فسره بقوله: ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أى هو ريح عاصفة

١= سورة الشعراء، آية رقم: ١٣٦

مدمرة فيها عذابمؤلم ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ أى تخرب وتهلك كل شئ أتت عليه من رجال ومواش وأموال بأمره تعالى واذنه، قال ابن عباسؓ: أول ماجائت الريح على قوم عاد، كانت تأتى على الرجال والمواشى فترفعهم من الأرض، وتطيربهم الى السماء حتى يصبح الواحد منهم كالريشة، ثم تضربهم على الأرض، فدخلوا بيوتهم وأغلقوا أبوابهم، فقلعت الريح الأبواب وصرعتهم، فهى التى قال الله فيها ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ أى تدمر كل شئ مرت عليه من رجال عاد وأموالهم، والتدمير الهلاک، وفى الحديث عن عائشةؓ قالت: كان رسول الله ﷺ اذارأى غيما اوريحا عرف فى وجهه، فقلت يارسول الله الناس اذارأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر، واراک اذارأيته عرف فى وجهک الكراهة؟ فقال: ياعائشة مايؤمننى أن يكون فيه عذاب، عُذِب قوم بالريح، وقد رأى قوم العذاب (قَالُوْا هَٰذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا) (فَاصْبَحُوا لَا يُرٰى اِلَّا مَسٰكِنَهُمْ) أى فاصبحوا هلكى لاترى الامساكنهم، لأن الريح لم تبق منهم الا الأثار والديار خاوية. ﴿كَذٰلِكَ نَجْزِى الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ (١) أى بمثل هذه العقوبة الشديدة نعاقب من كان عاصيا مجرما، قال الرازى: والمقصود منه تخويف أهل مكة.

واما هود عليه السلام والذين امنوا معه فقد نجاهم الله حيث قال الله تعالى: (وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا أى ولما جاء أمرنا بالعذاب، وهو مانزل بهم من الريح العقيم (نَجَّينا

١- سورة الاحقاف، آية رقم: ٢٣

هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا) أى نجينا من العذاب هودا والمؤمنين بفضل عظيم ونعمة منا عليهم (وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ) أى وخلصناهم من ذلك العذاب الشديد، وهى الريح المدمرة التى كانت تهدم المساكن، وتدخل فى أنوف أعداء الله وتخرج من أدبارهم، وتصرعهم على وجوههم حتى صاروا كأعجاز نخل خاوية وورثوا أموال الكفرة بعد استئصالهم وبهذا انتهى دعوة هود عليه السلام (١)

٥ ـ دعوة صالح عليه السلام: قال الله تعالى: (وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً) أى ولقد أرسلنا الى قوم ثمود نبيامنهم وهو صالح عليه السلام. وقال علماء التفسير: قوم ثمود بن عاثر بن ارم بن سام بن نوح، أحياء من العرب العاربة، وكان ثمود قبل عاد، ومساكنهم مشهورة بين الحجاز والشام، فى الحجر قرب تبوك، وقد مر رسول الله ﷺ على ديارهم ومساكنهم وهو ذاهب الى تبوك فى سنة تسع من الهجرة، قال الامام احمد عن ابن عمر قال: مر رسول الله ﷺ بالناس على تبوك، نزل بهم الحجر عند بيوت ثمود فاستقى الناس من الآبار التى كانت تشرب منها ثمود، فعجنوا منها، ونصبوا لها القدور، فأمرهم النبى ﷺ فأهرقوا القدور، وعلفوا العجن الابل، ثم ارتحل بهم حتى نزل بهم على البير التى كانت تشرب منها الناقة، ونهاهم أن يدخلوا على القوم الذين عذبوا، وقال: انى أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم فلاتدخلوا عليهم.

---

١ = دكتور احمد احمد غلوش. الدعوة الاسلامية ص: ١٣٣

وملكوا كثيرا من اسباب الحضارة حيث نحتوا من الحجارة واقاموا المصانع وتمتعوا بنعم الله التى اتتهم فى البحر والبر، حيث قال لهم: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم فِي الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ أى هو تعالى ابتدأ خلقكم من الارض، فخلق آدم من تراب ثم ذريته من نطفة. وجعلكم عمارها وسكانها تسكنون بها.

ومع كل هذا اعماهم الهوى فعبدوا غير الله، ومن هنا أرسل الله لهم اخاهم صالحا يدعوهم الى الحق فقال لهم: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾.(١) أى أعبدوا الله وحده ليس رب معبود سواه.

ومع بساطة هذه الدعوة وقوتها فان صالحا عليه السلام اسندها بالأدلة القاطعة التى يفهمها قومه، وابرز لهم النعم التى اعطاها الله، ودعاهم الى النظر والتصديق والطاعة حيث قال لهم: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ﴾ اى استخلفكم فى الأرض، اوجعلكم ملوكا فيها. ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أى جعل لكم فيها مبانية وهى المنزل الذى تسكنونه ﴿تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا﴾ أى أسكنكم فى أرض الحجر تبنون من ترابها كانوا يتخذون منه اللبن الآجر ونحو ذالك، فيبنون به قصورا رفيعة ﴿وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ أى تنحتون الجبال لسكناكم، كانوا لقوتهم وصلابة أبدانهم ينحتون الجبال، فيتخذون فيها كهوفا يسكنون فيها قال القرطبى: اتخذوا البيوت فى الجبال لطول أعمارهم فان الأبنية كانت تبلى قبل فناء أعمارهم.

﴿فَاذْكُرُوْا آلَآءَ اللّٰهِ وَلَاتَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِيْنَ﴾ (١ أى اذكروا نعم الله عليكم واشكروه على ماتفضل به ولاتعثوا فى الأرض فسادا، ولاتكثروا فيها من الفساد.

لكن هذه الأدلة لم تحى عاطفة التعقل عند القوم فاستمروا على كفرهم، ويذكر الله تعالى ما كان من الكلام بين صالح عليه السلام وبين قومه وماكان عليه قومه من الجهل والعناد فى قولهم ﴿وَقَالُوْا: يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِيْنَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هٰذَا﴾ أى كنا نرجوا أن تكون فينا سيدا قبل تلك المقالة، أى أن تكون فينا سيدا مطاعا ننتفع برأيك قبل هذا الذى أظهرته، من ادعائك النبوة، ودعوتك الى التوحيد، فلما قلتها انقطع رجاؤنا فيك ﴿أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاءُ نَا﴾ أى أتنهانا ياصالح عن عبادة الأوثان التى عبدها آبائنا وأسلافنا، للانكار أنكروا عليه هذا النهى ﴿وَإِنَّنَا لَفِيْ شَكٍّ مِمَّا تَدْعُوْنَا إِلَيْهِ مُرِيْبٍ﴾ (٢)

أى واننا لشاكون فى دعواك، من عبادة الله وحده، وترك عبادة الأوثان، وأمرك موقع فى الريب يوجب التهمة.

وفى الآية الأخرى يقول تعالى مخبرا عن جوابهم لنبيهم (صالح) حين دعاهم الى عبادة ربهم عزوجل ﴿قَالُوْا إِنَّمَآ أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِيْنَ﴾ أى الذين أصيبوا بالسحر كأنهم يقولون له؛ ان الساحرا سحرك، حتى أخذت تتخيل أمورا من الباطل حقا، وحتى أخذت تنكر علينا ما استقامت عليه حياتنا، وجرى عليه آباؤنا

---

١ - سورة الاعراف، آية رقم: ٧٤ ٢ - سورة هود، آية رقم: ٦٢]

وأجدادنا. ﴿مَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ أى لست ياصالح الا رجلا مثلنا، فكيف تزعم أنك رسول الله؟ ﴿فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ أى فأتنا بمعجزة تدل على صدقك، وبعلامة نستيقن عند رؤيتها أنك رسول من رب العالمين ان كانت مما لايقدر عليه البشر ﴿قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ﴾ أى هذه معجزتى اليكم وهى الناقة التى تخرج من الصخر الأصم بقدرة الله، لتكون حجة على نبوة نبيه صالحؑ كماطلبوا.

قال المفسرون: روى أنهم اقترحوا عليه ناقة عشراء، حامل تخرج من صخرة معينة وتلد أمامهم، فقعد صالح عليه السلام يتفكر فجائه جبريلؑ فقال: صل ركعتين وسل ربك الناقة ففعل، فخرجت الناقة وولدت أمامهم وبركت بين أيديهم فقال لهم: هذه ناقة ياقوم! ﴿لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ أى تشرب مائكم يوما، ويوما تشربون أنتم الماء.

قال قتادة: اذاكان يوم شربها شربت مائهم كله، وشربهم فى اليوم الذى لاتشرب هى فيه. وتلك آية أخرى: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ﴾ أى لاتنالوها بأى ضرر بالعقر اوبالضرب اوشئ مما يسوؤها ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ اى فيصيبكم عذاب من الله هائل لايكاد يوصف.

قال ابن كثير: حذرهم بنقمة الله ان أصابوها بسوء، فمكثت الناقة بين أظهرهم حينا من الدهر، ترد الماء وتأكل الورق والمرعى، وينتفعون بلبنها يحلبون منها مايكفيهم شربا وريًا، فلما طال عليهم الأمد وحضر أشقاهم تمالؤوا على قتلها

وعقرها ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾ أى فقتلوها رميا باسهام، رماها أشقاهم، قدار بن سالف بأمرهم ورضاهم، فأصبحوا نادمين على قتلها خوف العذاب، لما عرفوا أن العذاب نازل بهم، وذلك أنه أنظرهم ثلاثا، فظهرت عليهم العلامة فى كل يوم.

قال الفخر الرازىؒ: لم يكن ندمهم ندم التائبين، لكن ندم الخائفين من العذاب العاجل ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ أى العذاب الموعود و كان صيحة خمدت لها أبدانهم، وانشقت لها قلوبهم، وزلزلت الأرض تحتهم زلزالا شديدا وصبت عليهم حجارة من السماء فماتوا عن آخرهم ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾(١) أى لعظة وعبرة من عقل وتدبر

وأخيرا يخبر الله تعالى عن طغاة ثمود ورؤوسهم الذين كانوا دعاة قومهم الى الضلال والكفر، وعقروا الناقة وهموا بقتل الصالحؑ ايضا، بأن يبيتوه فى أهله ليلا فيقتلوه غيلة، ثم يقولوا لأوليائه انهم ماعملوا بشئ من أمره، وانهم لصادقون فيما أخبروهم به من أنهم لم يشاهدوا ذلك، فقال تعالى: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ أى مدينة ثمود ﴿تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ أى تسعة نفر ﴿يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ وانما غلب هؤلآء على أمر ثمود لأنهم كانوا كبرائهم ورؤسائهم. قال ابن عباسؓ: هؤلاء هم الذين عقروا الناقة أى الذين صدر ذلك عن رأيهم ومشورتهم، قبحهم الله ولعنهم. وقال تعالى: ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾ أى تحالفوا وتبايعوا على قتل نبي الله (صالح) عليه السلام من لقيه ليلا غيلة، فكادهم الله وجعل الدائرة

١- سورة الشعراء، آيات رقم: ١٥٣، الى ١٥٨

عليهم. قال مجاهد: تقاسموا وتحالفوا على هلاكه فلم يصلوا اليه حتى هلكوا وقومهم أجمعين.

قال ابن ابى حاتم: لما عقروا الناقة قال لهم صالح: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ قالوا زعم صالح أنه يفرغ منا الى ثلاثة ايام فنحن نفرغ منه وأهله قبل ثلاث، وكان لصالح مسجد فى الحجر عند شعب هناك يصلى فيه، فخرجوا الى كهف اى غار هناك ليلا فقالوا: اذاجاء يصلى قتلناه ثم رجعنا اذافرغنا منه الى أهله، ففرغنامنهم، فبعث الله عليهم صخرة من الهضب حيالهم، فخشوا أن تشدخهم فتبادروا فانطبقت عليهم الصخرة وهم فى ذلك الغار، فلايدرى قومهم أين هم، ولايدرون مافعل بقومهم فعذب الله هؤلآء ههنا وهؤلآء ههنا وأنجى الله صالحا ومن معه، ثم قرأ: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا، أى دبروا مكيدة لقتل صالح ﴿وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾ اى جازيناهم على مكرهم بتعجيل هلاكهم، سماه مكرا بطريق الشاكلة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أى من حيث لايدرون ولايعلمون.

قال أبوحيان: ومكرهم ما أخفوه من تدبير الفتك بصالح وأهله ومكر الله اهلاكهم من حيث لايشعرون (فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ). (١) أى فتأمل وتفكر فى عاقبة أمرهم ونتيجة كيدهم كيف انا أهلكناهم أجمعين وكان مآلهم الخراب . وهكذاكانت نهاية دعوة صالح عليه السلام. (٢)

١ = سورة النمل، آية رقم: ٥٠، ٥١ ٢ الدكتور احمد احمد غلوش. الدعوة الاسلامية، ص: ١٣٥

٢ـ دعوة ابراهيم عليه السلام: يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ مخبرا عن نبوته وماجرى من المباحثة والمحاورة بينه وبين أبيه وقومه بقوله (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ) أى اتل يامحمد فى الكتاب على قومك هؤلآء الذين يعبدون الأصنام خبر ابراهيم خليل الرحمن. (إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا) أى ملازما للصدق مبالغا فيه، جامعا بين الصدق والنبوة، وقد كان صديقا نبيا مع ابيه كيف نهاه عن عبادة الأوثان، والغرض تنبيه العرب الى فضل ابراهيم الذى يزعمون الانتساب اليه ثم يعبدون الأوثان مع أنه امام الحنفاء وقد جاء بالتوحيد الصافى الذى دعاهم اليه خاتم المرسلين.

نشاء سيدنا ابراهيم عليه السلام فى بيئة فاسدة تؤلّهُ الحجر والانسان والنجوم وتعبده، وتسئ الى نفسها باخلاق فاسدة ومعاملات سيئة، وقد دعاهم سيدنا ابراهيم عليه السلام الى توحيد اللّٰه وعبادته وحده، ونبذ مفاسد العادات والمعاملات، حيث سيدنا ابراهيم عليه السلام حاور كثيرا وجادل عديدا من الطوائف التى تلقاه من الأدلة المنظورة لافهام مجادليه، بأن قال لابيه: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾ يخبر ابراهيم أباه أنه قدوصل نصيب من العلم بالوحى من قبل اللّٰه سبحانه، على ما لم تعلمه أنت، ولاأطلعت عليه ولاجاءك، كرر النصح باللطف ولم يصف أباه بالجهل الشنيع فى عبادته للأصنام وانما ترفق وتلطف فى كلامه أى جائنى من العلم باللّٰه ومعرفة صفاته القدسية مالاتعلمه أنت،

وأنـه قـد تـجـدد لـه حـصـول مايتوصل به منه الى الحق، ويقتدر على ارشاد الضال، ولـذلک قـال: ﴿فَـاتَّبِـعْنِـي اَهْـدِکَ صِـرَاطًا سَـوِيًّا﴾ (١) أى اقبل نصيحتى وأطعنى أرشدک الى طريق مستقيم فيه النجاة من المهالک، وموصل الى المطلوب، ومنج من المكروه، وهودين الله الذى لاعوج فيه.

وقـال لـلـنـمـرود حينما قال انا احى واميت، فى رد النمرود، ﴿إِنَّ اللّٰهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ (٢) أى اذاكنت تدعى الألوهية وأنک تـحـيى وتـميت كـمايفعل رب العالمين جل جلاله فهذه الشمس تطلع كل يوم من المشرق بأمر الله ومشيته فأطلعها من المغرب بقدرتک وسلطانک ولومرة واحدة

ورغـم كـل هذه الأدلة القوية تمسک الطغاة بكفرهم، وحاولوا قتل ابراهيم عـلـيـه السـلام، فـجمعوا له الحطب ووضعوه فيه وأشعلوه بالنار لكن اللّٰه نجاه وقال لـلـنـار: ﴿يَا نَارُ كُوْنِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلٰي اِبْرَاهِيْمَ﴾ (٣) أى ذات برد وسلامة وجائت الـعـبـارة هـكذا للمبالغة، قال المفسرون: لما أرادوا احراق ابراهيم جمعوا له حطبا مدة شهر حتى كانت المرأة تمرض فتنذر ان عفيت أن تحمل حطبا لحرق ابراهيم، ثم جعلوه فى حفرة من الأرض وأضرموها نارا فكان لها لهب عظيم حتى لوأن الطائر لـيـمـر مـن فـوقـهـا فـيـحـتـرق مـن شدة وهجها وحرها، ثم اوثقوا ابراهيم وجعلوه فى منجنيق ورموه فى النار، فجاء اليه جبريلٌ فقال: ألک حـاجـة ؟ قال: أما اليک فلا،

١= سورة مريم، آية رقم: ٤٢-٤٣ ٢= سورة البقرة، آية رقم: ٢٥٨ ٣= صفوة التفاسير سورة الانبياء، آية رقم: ٦٩

فقال جبريل: فاسئل ربك؟ فقال: حسبي من سؤالي علمه بحالي، فقال الله يانار كوني بردا وسلاما على ابراهيم، ولم تحرق النار منه سوى وثاقه.

فاستجابت النار ونجى الله سيدنا ابراهيم من النار التي اعدت لحرقه، وتعتبر دعوة ابراهيم عليه السلام خطوة في الترقية العقلية، وحركة اوسع في اتجاه الدعوة العالمية. هكذا انتهى دعوة ابراهيم عليه السلام. (١)

ے دعوة لوط عليه السلام: هو ابن اخي ابراهيم الخليل عليه السلام وكان الله تعالى قد بعثه الى أمة عظيمة في حياة ابراهيم عليهما السلام، سكن قوم لوط ارض (سدوم) التي تقع بجوار البحر الميت بالأردن، وقد عبد هؤلآء القوم غير الله، وانغمسوا في الفواحش والخبائث، حيث كانوا يأتون الذكور ويتركون الأناث، وقد اشتهروا بهذا الطبع الشنيع، واصبحوا لايخجلون من ارتكاب تلك الأثام حتى عرفوا بهذا الفسوق واصبح رمزا عليهم، حيث قال الله عنهم ﴿وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَّعِلْمًا﴾ اى وأعطينا لوطا النبوة والعلم والفهم السديد.

قال ابن كثير: كان لوطٌ قد آمن بابراهيم عليه السلام واتبعه وهاجرمعه كما قال تعالى: ﴿وَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ اِلٰى رَبِّي﴾ فآتاه الله حكما وعلما وأوحى اليه وجعله نبيا وبعثه الى (سدوم) فكذبوه فأهلكهم الله ودمرعليهم، كماقص خبرهم في غيرموضع من كتابه العزيز (وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ

١ = احمد احمد غلوش. الدعوة الاسلامية، ص: ١٣٥

أى خلصناه من أهل قرية سدوم الذين كانوا يعملون الأمال الخبيثة كاللواط وقطع السبيل وغير ذلك. (١)

فاذا ما اجتمعوا الا فاجتماعهم لهذا الفسوق ياتؤنه علنا بلاحياء يقول الله تعالى عنهم: ﴿وَلُوْطًا اِذْقَالَ لِقَوْمِهٖ﴾ أى اذكر رسولنا لوطا عليه السلام حين قال لقومه: ﴿اِنَّكُمْ لَتَاْتُوْنَ الْفَاحِشَةَ﴾ أى انكم يامعشر القوم لترتكبون الفعلة المتناهية فى القبح ﴿مَاسَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ اَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِيْنَ﴾ أى لم يسبقكم بهذه الشنيعة والفعلة القبيحة وهى اللواطة أحد من الخلق، ثم فسر تلك الشنيعة فقال: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَاْتُوْنَ الرِّجَالَ﴾ أى انكم لتأتون الذكور فى الأدبار وذلك منتهى القذارة والخسة ﴿وَتَقْطَعُوْنَ السَّبِيْلَ﴾ أى وتقطعون الطريق على المارة بالقتل وأخذ المال، وكانوا قطاع الطريق.

قال ابن كثير: كانوا يقفون فى طريق الناس يقتلونهم ويأخذون أموالهم. (وَتَاْتُوْنَ فِى نَادِيْكُمُ الْمُنْكَرَ) (٢) وتفعلون فى مجلسكم ومنتداكم مالايليق من أنواع المنكرات علنا وجهارا، أماكفاكم قبح فعلكم حتى ضممتم اليه قبح الاظهار؟ قال مجاهد: كانوا يأتون الذكور أمام الملأ يرى بعضهم بعضا.

ومن هنا أرسل الله لهم سيدنا لوط عليه السلام ليدعوهم الى الله من اجل توحيده واخلاص العبادة له، ووجوب طاعته فى سائراوامره ونواهيه كما يقول الله

١ = صفوة التفاسير، سورة الانبياء، آية رقم: ٧٤ ٢ = سورة العنكبوت، آية رقم: ٢٩

تعالى مخبرا عن قوله لهم: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ أى ألا تخافون عقاب اللّه وانتقامه فى عبادتكم غيره (إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ) (١) أى أمين على الوحى ناصح لكم فى الدين، فخافوا عذاب اللّه وأطيعوا أمرى.

فنجده عليه السلام يدعو الى اللّه تعالى فهو الخالق وهو القادر وهو الذى يتعلق الرجاء به والخوف لايكون الا منه، ويدعوهم الى التصديق برسالته، ويوجههم الى مكارم اخلاق، ومع كل هذا قال قوم لوط: سواء ابوا طاعته وقالوا لاتباعهم: ﴿اخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ﴾ أى فما كان جواب أولئك المجرمين الا أن قالوا اخرجوا لوطا وأهله من بلدتكم. ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ (٢) أى أنهم قوم يتنزهون عن القاذورات ويعدون فعلنا قذرا، وهو تعليل لوجوب الطرد والاخراج. وقال ابن عباسؓ: هو استهزاء يستهزؤن بهم بأنهم يتطهرون عن أدبار الرجال.

وكانت نهاية القوم أن أصيبوا بالعمى جميعا فى الليلة التى خرج فيها لوط من القرية وعند الصباح آتتهم صيحة من المشرق زلزلتهم وامطرت السماء حجارة فوق رؤسهم فتهدمت القرية وامتلأت بالدخان. وهكذا كان الجزاء من جنس العمل. (٣)

٨ـ دعوة شعيب عليه السلام: سكن قوم شعيب مدينة (معان) بالأردن، وسكن اصحاب الأيكة مدينتهم التى نسبوا اليها، وقد لعب الهوى بالقبيلتين واغرقتهم

---

١ = سورة الشعرآء، آية رقم: ١٦١، ١٦٢، ١٦٣ ٢ = سورة النمل، آية رقم: ٥٦

٣ = احمد احمد غلوش. الدعوة الإسلاميه، ص: ١٣٠

النعم الصديدة ، فعبدوا غير الله وتركوا شريعة الخالق، واخذوا يسرفون في الكيل والميزان، وهنا أرسل الله اليهم رسولا يوجههم الى الحق بالحسنى فقال لهم: ﴿وَاِلٰي مَدْيَنَ اَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوْا اللّٰهَ مَا لَكُمْ مِنْ اِلٰهٍ غَيْرُهُ.﴾ (١) أي وأرسلنا الى مدين وهي قبيلة من ولد ابراهيم رسولا منهم هو نبي الله شعيب وذكرهم بأنهم قومه وأنه واحد منهم يحب مافيه صلاحهم، وكان يدعو الى توحيد الله تعالى والى قصد العبادة لله وحده، وذالک رأس دعوة الرسل، والى رجاء الخير في الآخرة، وأنكر أن يكون شيء مما اتخذوه آلهة قدكان الهاً بحقٍ، بل هي باطلة زائلة والى ترک الفساد في الأرض، لكن القوم ابوا و كفروا واعترضوا على ترک ما يعبدونه، واستبعدوا أن يكون الرسول بشرا منهم وقالوا: ﴿مَا اَنْتَ اِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِاٰيَةٍ اِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِيْنَ﴾ (٢) أي لست الارجلا مثلنا فكيف تزعم أنک رسول الله ﴿قَالُوْا يَا شُعَيْبُ اَصَلٰوتُکَ تَاْمُرُکَ اَنْ نَتْرُکَ مَا يَعْبُدُ اٰبَاؤُنَا﴾ (٣)

لما أمرهم شعيب عليه السلام بعبادة الله تعالى وترک عبادة الأوثان وبايفاء الكيل والميزان ردوا عليه على سبيل السخرية والاستهزاء فقالوا قَالُوْا يَا شُعَيْبُ اَصَلٰوتُکَ تَاْمُرُکَ اَنْ نَتْرُکَ مَا يَعْبُدُ اٰبَاؤُنَا ، وقد استمر شعيب عليه السلام يدعوهم لكنهم استمروا على عتوهم واستكبارهم و كفرهم بآيات الله. قالوا ﴿قَالُوْا يَاشُعَيْبُ مَانَفْقَهُ كَثِيْرًا مِمَّا تَقُوْلُ وَاِنَّا لَنَرَاکَ فِيْنَا ضَعِيْفًا وَلَوْلَا رَهْطُکَ لَرَجَمْنَاکَ

١= سورة الأعراف، آية رقم: ٨٥ ٢= سورة الشعراء، آية رقم: ١٥٣ ٣= سورة سورة هود، آية رقم: ٨٧

وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ (١) أى قالوا لنبيهم شعيب على وجه الاستهانة: مانفهم كثيرا مما تحدثنا به من الاخبار بالامور الغيبية كالبعث والنشور ولانفهمه كمانفهم الأمور الحاضرة المشاهدة. قال الألوسى: جعلوا كلامه المشتمل على فنون الحِكم والمواعظ وأنواع العلوم والمعارف من قبيل التخليط والهذيان الذى لايفهم معناه ولايدرك فحواه، وقالوا (وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ.) أى لاقوة لك تقدربها على ان تمنع نفسك منا وتتمكن بهامن مخالفتنا, رهط الرجل عشيرته الذين يستند اليهم ويتقوى بهم، وانما جعلوا رهطه مانعا من انزال الضرر به مع كون رهطه قليلا والكفار الوفاً كثيرة لأنهم كانوا على دينهم فتركوه احتراما لهم، لاخوفا منهم.

واخيرا انزل اللّٰه امره حيث نجى شعيبا والذين آمنوا معه وعذب الكافرين عذابا فى صورة صيحة مد مرة اتتهم فاهلكتهم، وشلت اجسادهم وهكذا كانوا عبرة لسائر الامم من بعدهم الى يوم القيمة. (٢)

٩ـ دعوة اسمعيل عليه السلام: نص اللّٰه على نبوة اسمعيل عليه السلام، بقوله: ﴿وَاذْكُرْ فِى الْكِتَابِ اِسْمٰعِيْلَ اِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُوْلاً نَّبِيًّا.﴾ (٣) أى اذكر يامحمد ﷺ فى القرآن العظيم خبرجدك اسماعيل الذبيح ابن ابراهيم انه كان صادق الوعد وصف الله سبحانه اسماعيل بصدق الوعد مع كون جميع

١= سورة هود، آية رقم، ٩١ ٢= احمد احمد غلوش. الدعوة الاسلامية. ص: ١٣٠ ـ ١٣١

٣= سورة مريم، آية رقم: ٥٤

الأنبياء كذالك لأنه كان مشهورا بذلك مبالغا فيه لأنه ماوعد الاوفى به' فمن مواعده الصبر وتسليم نفسه للذبح فلذلك أثنى الله عليه. جمع الله له بين الرسالة والنبوة قال ابن كثير وفى الآية دليل على شرف اسماعيل على اخيه اسحق لأنه انما وصف بالنبوة فقط واسماعيل وصف بالنبوة والرسالة' ومن اسماعيل جاء خاتم النبيين والمرسلين محمد ﷺ . وقد كانت دعوة اسمعيل بين القبائل العربية التى عاش بينها،وكان يحث أهله على طاعة الله وبخاصة الصلوة التى هى عماد الدين والزكوة التى بها تحقق سعادة المجتمع. وقد اكتنفت حياة اسمعيل وولادته بعض الوقائع العشيرة اتركها لطولها.

• ١ـ دعوة اسحق عليه السلام: هو ابن ابراهيم عليه السلام من زوجته سارة ومن نسله جاء انبياء بنى اسرائيل وفى طليعتهم ابنه يعقوب عليه السلام فالنبوة كانت فى ذرية ابراهيم من ولديه اسمعيل واسحق كما قال الله تعالى:﴿ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ. ﴾(١)أى خصصنا بهذا الفضل العظيم حيث جعلنا كل الأنبياء بعد ابراهيم من ذريته' فلم يبعث الله تعالى نبيا بعد ابراهيم الامن صلبه' فجميع أنبياء بنى اسرائيل من سلالة ولده يعقوب عليه السلام' ولم يوجد نبى من سلالة اسماعيل سوى النبى ﷺ ' وانزل الكتب السماوية التوراة والانجيل والزبور والقرآن نازلة على الأنبياء من بنيه قال ابن كثير:وهذه خصلة سنية عظيمة مع اتخاذ الله اياه خليلا

١= سورة العنكبوت، آية رقم: ٢٧

وجعله اماما للناس، وأن جعل الله فى ذريته النبوة والكتاب، والقرآن نص على اسحق وأنه من الصالحين، وأن الله تعالى خصه ببركته كما خص اباه، وأن الملائكة بشرت اباه ابراهيم بذلك. كماقال الله تعالىٰ وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين، وباركنا عليه وعلى اسحق، ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين. (١)أى وبشرناه بغلام آخر بعد تلك الحادثة هواسحق الذى سيكون نبيا جزاء على طاعته لله فى ذبح وحيده اسماعيل. قال ابن عباس: بشر بنبوته حين ولد وحين نبئ. وتكاد تكون الآية صريحة فى أن الذبيح هو اسماعيل لا اسحاق. وباركنا وافضنا على ابراهيم واسحاق بركات الدنيا والدين بمرادفة نعم الله تعالى عليهما. قيل: أى كثرنا ولدهما. أى من ذريتهما محسن ومسئ قال الطبرى: المحسن هو المؤمن والظالم لنفسه هو الكافر. بين من هذه الآية ان كون الذرية من هذا العنصر الشريف ليس بنافع لهم بل انما ينتفعون بأعمالهم لا بآبائهم وأن البر قديلد فاجرا ولايلحقه من ذلك عيب ولامنقصة. فان اليهود والنصارى وان كانوا من ولد اسحاق صاروا ماصاروا اليه من الضلال المبين بأن منهم من لم يؤمن بمحمد ﷺ.

١١ـدعوة يعقوب عليه السلام: ان الله نص على نبوة يعقوب عليه السلام بقوله مخاطبا رسوله محمد ﷺ ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ .(٢)

١=سورة الصافات، آية: ١١٢ ـ ١١٣ ٢=سورة النساء آية، ١٦٣

المعنى أن أمر محمد ﷺ كأمر من تقدمه من الأنبياء، وخص نوحا لكونه أول نبى شرعت على لسانه الشرائع، والاسباط وهم القبائل من ذرية يعقوب أى الأنبياء منهم، والله اعلم.

واثنى الله على ابراهيم واسحق ويعقوب بقوله: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا اِبْرَاهِيْمَ وَاِسْحٰقَ وَيَعْقُوْبَ اُوْلِى الْاَيْدِىْ وَالْاَبْصَارِ. اِنَّا اَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ. وَاِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْاَخْيَارِ﴾ (١) أى اذكر يامحمد ﷺ هؤلاء الأنبياء الأخيار وتأس بهم، الذين جمعوا بين القوة فى العبادة والبصائرفى الدين. وخصصنا بخصلة عظيمة الشأن وهى عدم التفاتهم الى الدنيا وتذكرهم للدار الباقية والايمان بها وذلک من شأن الأنبياء قال المجاهد: جعلناهم يعملون للآخرة ليس لهم هم غيرها

١٢ـ دعوة ايوب عليه السلام: هو من الانبياء الذين ذكر القرآن نبوتهم قال الله تعالى مخاطبا رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم: ﴿اِنَّا اَوْحَيْنَا اِلَيْکَ كَمَا اَوْحَيْنَا اِلٰى نُوْحٍ وَالنَّبِيّٖنَ مِنْ بَعْدِهٖ وَاَوْحَيْنَا اِلٰى اِبْرَاهِيْمَ وَاِسْمٰعِيْلَ وَاِسْحٰقَ وَيَعْقُوْبَ وَالْاَسْبَاطِ وَعِيْسٰى وَاَيُّوْبَ.﴾ (٢) الزبور: كتاب داود عليه السلام، قال القرطبى: وهومائة وخمسون سورة، ليس فيها حكم ولاحلال ولاحرام، وانما هى حِكَمٌ ومواعظ. والمرموز: فصل يشتمل على كلام داود يستغيث فيه بالله من خصومه ويدعو الله عليهم ويستنصره وتارة يأتى بواعظ.

١= سورة ص، آيات: ٤٥ تا ٤٧   ٢= سورة النساء، آية: ١٦٣

وكان ايوب عظيم التقوى رحيما بالمساكين، يكفل الارامل والايتام، ويكرم الضيف، وكان يدعو قومه الى عبادة الله وهو من ذرية ابراهيم عليه السلام وامه بنت لوط عليه السلام وامراته هى (ليا) بنت يعقوب وقيل (رحمة) بنت افرائيم وقيل (منشا) بن يوسف بن يعقوب.

وقد ذكر ابن جرير الطبرى ان ايوب لما توفي كان عمره ثلاث وتسعين سنة، وقيل أنه عاش اكثر من ذلك، وقال ابن عباس: سمى ايوب لأنه اب الى الله تعالى فى كل حال. (١)

١٣ـ دعوة ذو الكفل عليه السلام. قال تعالى: ﴿وَإِسْمٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِيْنَ. وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِيْنَ.﴾ (٢) واذكر لقومك قصة اسماعيل بن ابراهيم وادريس بن شيث وذا الكفل، من هؤلاء الأنبياء من أهل الاحسان والصبر، جاهدوا في الله وصبروا على مانالهم من الأذى، و ادخلناهم بصبرهم وصلاحهم الجنة دار الرحمةو النعيم اوفى النبوة، لأنهم من أهل الفضل والصلاح. وقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ إِسْمٰعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْاَخْيَارِ﴾ (٣) أى واذكر يامحمد ﷺ هؤلاء الرسل أيضا وكل من خيرة الله فاقتد بهم فى الصبر وتحمل الأذى فى سبيل الله.

دعوته ورسالته والقوم الذين ارسل اليهم فلم يتعرض القرآن لشئ من ذلك

---

١ = عفيف عبد الفتاح طبارة. مع الانبياء فى القرآن الكريم. ص: ٢٠٨ ٢ = سورة الانبياء، آيات: ٨٥ـ ٨٦ ٣= سورة ص، آية رقم: ٤٨

لابا لاجمال ولابالتفصيل، أما أهل التاريخ فيذكرون أنه ابن ايوب عليه السلام، واسمه في الاصل (بشر) وقد بعثه الله بعد ايوب وسماه الله ذا الكفل لانه تكفل ببعض الطاعات فوفى بها. (١)

١٤ـ دعوة زكرياعليه السلام: زكريا عليه السلام من انبياء الله قضى عمره في الدعوة الى الله وخدمة الهيكل المقدس في القدس وقد كان يتمنى أن يرزقه الله ولدا يواصل دعوته الى الله من بعده خوفا على قومه أن يضلوا فقد كانت بوادر الضلال تظهر فيهم ولكن تقدمه في السن وعقر زوجته وكبر عمرها كل ذلك اضعف أمله. فالآن نلخص القصة فيما قال الله تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَآءً خَفِيًّا. قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا. وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا. يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ (٢) أي هذا ذكر رحمة ربك عبده ذكريانقصه عليك يامحمد ﷺ وهومن أنبياء بني اسرائيل، وزوجته خالة عيسى عليهما السلام، حين ناجى ربه ودعاه بصوت خفي لايكاد يسمع، قال المفسرون: جعل ندائه خفيا لأن الاخفاء أدخل في الاخلاص وأبعد من الرياء، وقيل: لكونه قدصار ضعيفا هرما لايقدر على الجهر فقال يارب لقدضعف عظمي وذهبت قوتي من الكبر أراد أن عظامه فترت وضعفت قوته وانتشر

١ـ عفيف عبد الفتاح طبارة. مع الانبياء في القرآن الكريم. ص: ٢١٣ ٢ـ سورة مريم، آيات: ١ الى ٩

الشيب فی رأسی انتشار النار فی الهشم وهذا كناية عن الهرم. ولم اكن خائبا بل كلما دعوتک في وقت من الأوقات استجبت دعائي لي' فاستجب دعائي الآن كماكنت تستجيبه فيمامضى.

قال البيضاوى: هذا توصل بماسلف له من الاستجابة وأنه تعالى وعده بالا جابة وأطمعه فيها ومن حق الكريم أن لايخيب من أطمعه. واني خفت الموالي من ورائي' الموالي هنا هم الأقارب وسائر العصبات من بني العم ونحوهم' أن يضيعوا الدين من بعد موتى ولايحسنوا وراثة العلم والنبوة' وكانوا يعنى اقاربه وبنى عمه مهملين لأمر الدين وانشغلوا بأمر الدنيا عن اقامة أمر الدين لبنى اسرائيل' فخاف أن يضيع الدين بموته' فطلب وليا يقوم به بعد موته يكون حريصا على الدين. وكانت امرأتي عاقرا. العاقر: هي التى لاتلد لكبر سنها اولم تلد قط' فهب لى من لدنک وليا أي فارزقني من محض فضلک وليا يتولاني' ولم يصرح بطلب الولد لماعلم من نفسه بأنه قدصار هو وامرأته في حالة لايجوز فيها حدوث الولد بينهما' وقيل: بل أراد الولد. يرثني ويرث من آل يعقوب ' أى يرثني ويرث اجداده فى العلم والنبوة على ماهو الراجح لاوراثة المال لقول النبى ﷺ (نحن معاشر الأنبياء لانورث) أى يرث ماعندهم من العلم ويقوم برعايته أمور الدين. واجعله رب رضيا. أى مرضيا فى أخلاقه وأفعاله ترضاه أنت ويرضاه عبادک ليكون أهلا لحمل علم الدين وتعليمه وتبليغه وليقيم لهم شعائر دينهم.

قال الرازى: قدم زكريا عليه السلام على طلب الولد أموراً ثلاثة: أحدها: كونه ضعيفا، والثاني: أن الله مارد دعائه البتة، والثالث كون المطلوب بالدعاء سببا للمنفعة في الدين. ثم صرح بسؤال الولد وذالک ممايزيد الدعاء توكيدالمافيه من الاعتماد على حول الله وقوته والتبرى عن الاسباب الظاهرة.

استجاب الله دعاء زكريا وارسل اليه ملائكة تبشره بأن الله تعالى سيهب له ولدا وقد اختار له اسم يحى. قال تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ (۱) فنادته الملائكة قيل: المراد هنا جبرئيل عليه السلام، أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ، كان اسمه فى الانجيل يوحنا أى يبشرک بولادة يحي مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ أى بعيسى عليه السلام، وسمي كلمة الله لأنه كان بقوله سبحانه (كن) وقدجاء يحي يبشر بقرب بعثة عيسى عليه السلاموقدبعث فى زمانه وكان ابن خالته، ويحي أول من آمن بعيسى عليه السلام وصدقه، وَسَيِّدًا وَحَصُورًا، والسيد الذى يسود قومه حليما كريما تقيا، والحصور الذى لايأتى النساء فيحي عليه السلام كان حصورا عن اتيان النساء أى محصورا لايأتيهن كغيره من الرجال أما لعدم القدرة على ذلک اولأنه يكف نفسه وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ أى يؤدى لله مافترض عليه والى الناس حقوقهم وبهذا تبين أن دعوة زكريا عليه السلام قد انتهى

---

۱ = سورة ال عمران، آية: ۳۹

الى مـاانتهى اليـه بين الخوف على ضياعه والرجاء باحيائه بولده يحي عليه السلام الذى ياتى من بعده وارثا منه ومن اجداده. (١)

١٥ ـ يحى عليه السلام: تحققت ارادة الله وحملت زوجة زكريا عليه السلام ولـمـا انتهت مدة الحمل ولد يحى فخصه الله بمواهب عظيمة فمنحه حدة الزكاة وحسن الفهم وأمره أن يقرأ التوراة ويعمل بما فيها بجدٍ وعزمٍ وأتاه الله منذ صغره بصيرة قادرا على التفقه فى الدين وتفهم احكام الشريعة، وأتاه من فيض رحمته نفسا عطوفةً وقلباً حنونًا. قال تعالى: ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾ (٢) أي فولد له مولود، فى الكلام حذف والتقدير فلما ولد يحي وكبر وبلغ السن الذي يخاطب فيه فقلنا له (يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ) أى التوراة بجد وعزيمة واجتهاد(وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا) أى أعطيناه الحكمة وهي الفهم للكتاب، وقيل النبوة، قال الطبرى: المعنى أعطيناه الفهم لكتاب الله فى حال صباه قبل بلوغه سن الرجال. وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً أى رحمناه رحمة من عندنا، والحنان الرحمة والشفقة والعطف والمحبة، أى فعلنا ذلك رحمة منا بأبويه وعطفا عليه وتزكية له من الخصال الذميمة.

وقيل: المعنى أعطيناه رحمة من لدنا كائنة في قلبه يتحنن بها على الناس ومنهم ابواه وقرابته حتى يخلصهم من الكفر والمعاصى.

---

١ = عفيف عبد الفتاح طبارة. مع الانبياء فى القرآن الكريم. ص: ٣١٥

٢ = سورة مريم، آيات: ١٢ ـ ١٣

١٦ـ دعوة موسي عليه السلام: موسى هو نبى الله ، موسى الذى أرسله بعد أن تربى فى بيت فرعون وملائه ويشير الله الى ظلم فرعون لبنى اسرائيل وتقتيله لأبنائهم. بقوله: ﴿نَتْلُوْ عَلَيْكُمْ مِنْ نَبَأْ مُوْسٰي وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُوْنَ. اِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَفِي الْاَرْضِ وَجَعَلَ اَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ اَبْنَائَهُمْ وَيَسْتَحْيِ نِسَآئَهُمْ اِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِيْنَ﴾ (١) أى تكبر وتجبر بسلطانه وتجاوز الحد فى الطغيان فى أرض مصر وأدعى الربوبية واستعبد أهلها وجعل أهلها فرقا وأصنافا فى استخدامه وطاعته' يشايعونه على مايريد' ويطيعونه فيقهر بعض شيعهم ببعض.

كان فرعون يذبح أبنائهم ويترك البنات' قيل لأن المنجمين والكهنة فى ذلك العصر أخبروه أنه يذهب ملكه على يد مولود من بنى اسرائيل' ويكون هلاكك بسببه فأمر أن يقتل كل ذكر من اولاد بنى اسرائيل. قال الزجاج: والعجب من حمق فرعون فان الكاهن الذى أخبره بذلك ان كان صادقا فماينفع القتل وان كان كاذبا فلامعنا للقتل.

وفى تصديق هذا القول مافيه اذ المنجمون لايعلمون من الغيب شيئا ولايجوز شرعا التصديق بمثل هذه الأخبار' ولعل قتله لأبنائهم لمجرد الاستعباد أولأخبار تناقلها الاسرائيليون عن أنبائهم بظهور موسى عليه السلام.

وبنو اسرائيل هم بنو يعقوب عليه السلام عاشوا فى البادية يجتمعون الكلاء

١= سورة القصص، آيات: ٣ـ٤

ويرتحلون من مكان الى مكان آخر من غير أن يعرفوا لأنفسهم وطنا معينا، واول استقرارهم حينما اتى بهم يوسف عليه السلام من البادية واسكنهم مصر. كما قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوْا عَلَى يُوْسُفَ اٰوٰى اِلَيْهِ اَبَوَيْهِ﴾ أى فلما دخل يعقوب وأبنائه وأهلوهم على يوسف ضم اليه أبويه واعتنقهما' وَقَالَ ادْخُلُوْا مِصْرَ اِنْ شَاءَ اللّٰهُ اٰمِنِيْنَ. أى ادخلوا بلدة مصر آمنين من كل مكروه مما تكرهون' قيل: تلقاهم الى خارج مصر فوقف منتظرا لهم فى مكان فدخلوا عليه' وانما قال انشاء الله تبركا وتيمنا' ﴿وَرَفَعَ اَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ أى أجلسهما معه على السرير الذى يجلس عليه كماهو عادة الملوك' وَخَرُّوْا لَهٗ سُجَّدًا. أى الأبوان والاخوة حين دخولهم عليه.

قال المفسرون: كان ذالک السجود جائزا فى شريعتهم منزلا منزلة التحية والكرامة لاالعبادة﴾ سورة يوسف آيات: ۹۹

وظلموا هكذا حتى طغى عليهم فرعون مصر لأنهم لم يندمجوا مع افراد الشعب الذى أواهم، وحاولوا أن يكونوا طبقة السادة فيهم، وكان طغيان فرعون باغيا حيث امر بقتل الذكور وترک الاناث مخافة أن يظهر فيهم رسول من اللّٰه كما ذكر له احد العرافين، لكن اللّٰه غالب على امره فاستبقى موسى عليه السلام، وكلفه بالرسالة الى الاسرائيليين والى فرعون ايضا .قال اللّٰه تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوْسٰي بِاٰيَاتِنَا أى المعجزات من الحية واليد البيضاء وغيرهما' اِلٰي فِرْعَوْنَ أى ملک مصر وكل من كان يملک أرض مصر كان يسمى فرعون' وَمَلَائِهٖ أى أشراف قومه

وتخصيصهم بالذكر لأن من عداهم كالأتباع لهم' فَظَلَمُوْا بِهَا أى كذبوا بها والتكذيب بماهو أصدق الصدق ظلم عظيم.

وقيل المعنى: ظلموا الناس بسببها لماصدوهم عن الايمان بها' اوظلموا أنفسهم بسببها' فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِيْنَ. أى نهاية أمر المكذبين بالآيات الكافرين بها وَقَالَ مُوْسٰي يَا فِرْعَوْنُ اِنِّي رَسُوْلٌ مِّنْ رَّبِّ الْعَالَمِيْنَ ﴾ومن كان مرسلا من جهة رب العالمين فهو حقيق بالقبول (١)

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ أى بعد الرسل المذكورين سابقا وبعد أممهم' مُوْسٰى وَهَارُوْنَ اِلٰى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ بِآيٰتِنَا ' المعجزات التسع التى هي مذكورة في الكتاب العزيز' فَاسْتَكْبَرُوْا' عن قبولهاولم يتواضعوا لها' وَكَانُوْا قَوْمًا مُّجْرِمِيْنَ أجرموا باستكبارهم عن اتباع ماجاء به موسى وهارون﴾ (٢)

﴿وَاذْكُرْ فِى الْكِتَابِ' أى أذكر يامحمد ﷺ لقومك فى القرآن العظيم خبر' مُوْسٰى اِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا أى استخلصه الله لنفسه واصطفاه من بين الخلق لكلامه' وَكَانَ رَسُوْلاً نَّبِيًّا' أى من الرسل الكبار والأنبياء الأطهار' جمع الله له بين الوصفين الجليلين' وانما أعاد لفظ كان لتفخيم شان النبى المذكور﴾. (٣)

ولما كانت مواجهة فرعون تستدعى الشجاعة ورباطة الجاش فقد سأل موسى ربه أن يشرح صدره ليتحمل ما يواجهه من صعاف، ويسهل عليه الامر، وأن

١= سورة الاعراف، آيات، ١٠٣-١٠٤ ٢= سورة يونس، آية: ٧٥ ٣= سورة مريم. آية: ٥١

يعينه على البيان والافصاح، وأن يجعل اخاه هارون مساعدا له في رسالته الشاقة، وأن يعينه على عبادته وقد اجاب الله دعائه واعطاه كل ما سأل. قال الله تعالي حكاية عنه: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِيْ صَدْرِيْ وَيَسِّرْلِي اَمْرِيْ. وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوْا قَوْلِي. وَاجْعَلْ لِيْ وَزِيْرًا مِنْ اَهْلِي هٰرُوْنَ اَخِي. اشدد بِهٖ ازرى. واشركه فِي اَمْرِيْ. كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيْرًا وَنَذْكُرَكَ كَثِيْرًا. اِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيْرًا. قَالَ قَدْ اُوْتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوْسٰى. وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً اُخْرٰى. اِذْهَبْ اَنْتَ وَاَخُوْكَ بِآيَاتِي وَلاتنيا فِي ذِكْرِي. اِذْهَبَا اِلٰى فِرْعَوْنَ اِنَّهُ طَغٰى.﴾

وكان دعوة موسى عليه السلام واضحة اذ نادى بتوحيد الله تعالى واخلاص العبادة له وحده، والاتجاه المطلق لرب العالمين. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ اَرْسَلْنَا مُوْسٰى بِآيَاتِنَا وَسُلْطٰنٍ مُّبِيْنٍ﴾ أى لقد أرسلنا موسى بشرائع وأحكام وتكاليف الهية' وايدناه بمعجزات قاهرة وبينات باهرة كاعصا واليد البيضاء﴾. (١)

﴿وَلَقَدْ اَرْسَلْنَا مُوْسٰى بِآيَاتِنَا' أى ارسلنا موسى بالمعجزات الباهرة الدالة على صدقه' اَنْ اَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ اِلَى النُّوْرِ' أى وقلنا له فى مضمون الرسالة أخرج بنى اسرائيل الذين هم فى ملك فرعون واستعباده من ظلمات الجهل والكفر الذى قالوا بسببه اجعل لنا الها كمالهم آلهة الى نور الايمان والتوحيد' اوالى العلم والحرية' قال ابوحيان: وفى قوله (قومك) خصوص لرسالة موسى الى قومه

---

١ = سورة هود، آية: ٩٦

بخلاف قوله لمحمد ﷺ (لتخرج الناس) ممايدل على عموم رسالة محمد ﷺ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللّٰهِ' أى بوقائعه وبنعم الله عليهم وبنقم أيام الله التى انتقم فيها من قوم نوح وعاد وثمود ﴿إِنَّ فِى ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُوْرٍ﴾ أى في التذكير بأيام الله لعبرا ودلالات عظيمة على التوحيد وكمال القدرة لكل عبد منيب صابر على البلاء وشاكر لنعمائه﴾ سورة ابراهيم، آية: ٥

استمر موسى عليه السلام فى اصلاح بني اسرائيل ولكنه رأى منهم معارضة وقوة، عندئذ تهددهم اللّٰه بالحق بآن رفع جبل الطور فوقهم فارتاعوا وظنوا أنه واقع عليهم فتضرعوا الى اللّٰه فامرهم أن يأخذوا حينئذ ما اتاهم من الاحكام بقوة اى بدون تذمر، وأن يدرسوا ما فى الكتاب ولايغفلوا عنه لعلهم بذلك يصبحون من المتقين، فلما ازال اللّٰه عنهم هذه الغمة اعرضوا عن هدى اللّٰه. حيث قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيْثَاقَكُمْ' هذا من بقية خطاب اليهود' أخذ سبحانه وتعالى عليهم الميثاق بأن يعملوا بما شرعه لهم فى التوراة ويؤمنوا بمن يرسله الله' وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّوْرَ' الطور اسم الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام' وقدذكر كثير من المفسرين أن موسى عليه السلام لما جاء بنى اسرائيل من عند الله بالألواح التي فيها التوراة قال لهم خذوها والتزموها فقالوا لا' الا أن يكلمنا الله بها كما كلمك فأمر الله الملائكة فاقتلعت جبلا من جبال فلسطين طوله فرسخ فى مثله' فجعل عليهم مثل الظلة' وقيل لهم: ﴿ خُذُوْا مَا اٰتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ أى بجد واهتمام وعليكم

الميثاق الا تضيعوها والاسقط عليكم الجبل' فسجدوا توبة لله وأخذوا التوراة بالميثاق. والمراد بقوله: وَاذْكُرُوْا مَا فِيْهِ' أن يكون محفوظا عندهم ليعلموه ويعملوا به' لَعَلَّكُمْ تَتَّقُوْنَ. ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ' المراد ههنا اعراضهم عن الميثاق المأخوذ عليهم' أى من بعد رفع الجبل فوق رؤوسهم كأنه ظلة عليهم' فَلَوْ لاَ فَضْلُ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ' بأن تداركم بلطفه ورحمته حتى أظهرتم التوبة' لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِيْنَ﴾ سورة البقرة، اية: ٦٣- ٦٤

ولكن طبيعة فرعون وقومه الموغلة فى السوابت الاذعان للآيات الواضحة التى تدل على رسالة موسى عليه السلام، فاستمروا فى اجرامهم، حينئذ أصابهم اللّٰه بصنوف اخرى من المصائب والنكبات بالطوفان يغمر ممتلكاتهم ومزارعهم، وبالجراد يأكل مزروعاتهم، وبالقمل وهوحشرة تفسد الثمار، تؤذى الانسان والحيوان، وبالضفادع التى انتشرت فى كل مكان، فنغصت حياتهم، وافسدت صفاء عيشهم كما ارسل عليهم آفة جعلت الدم يسيل من انوفهم وافواههم، وتلوث بذلك مياههم فضعفت اجسامهم وكانوا كلما حل بهم العذاب يقولون لموسى لئن كشف اللّٰه بنا من سوء عذاب سنؤمن بربك ونرسل معك بنى اسرائيل، ولكن لما كشف اللّٰه عنهم العذاب نكثوا وعدهم. حيث قال اللّٰه تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوْفَانَ (الطوفان: هوالماء الشديد المغرق للأرض المتلف للدور والشجر) وَالْجَرَادَ (الجراد: ارسله الله لأكل زروعهم فأكله) وَالْقُمَّلَ (القمل البراغيث قيل

البراغيث قيل الجراد قبل أن تطير) وَالضَّفَادِعَ(الضفدع: الحيوان المعروف الذي يعيش في الماء) وَالدَّمَ (الدم: روي أنه سال النيل عليهم دما' وقيل هو الرعاف) آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ (أى بينات ظاهرات)فَاسْتَكْبَرُوا (أى ترفعوا عن الايمان بالله) وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ (لايهتدون الى حق ولاينزعون عن الباطل) وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ (أى العذاب بهذه الأمور' وقيل: كان هذا الرجز طاعونا مات به من القبط في يوم واحد ألوف) قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ(أو بما اختصك به من النبوة اودع لنا متوسلا اليه بعهده عندك) لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ (أى لنصدقن بنبوتك) وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ(وقد كانوا حابسين لهم عندهم يمتهنونهم في الأعمال فوعدوه بتخليهم ليذهبوا معه) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ (أى رفعنا عنهم العذاب الى الاجل المضروب لاهلاكهم بالغرق) إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ (أى ينقضون ماعقدوه على أنفسهم فامتنعوا من ارسال بنى اسرائيلمع موسى عليه السلام كما التزموا بذلك)﴾ سورة الاعراف، آية: ١٣٣ الى ١٣٥

وكانت النهاية التى لخصها قول سيدنا موسى عليه السلام قال: ﴿رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي (أما هم فقد خرجوا عن طاعتي) فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ(وميزنا عن جملتهم ولاتلحقنا بهم في العقوبة' وقيل المعنى فاقض بيننا وبينهم)﴾ سورة المائدة، آية، ٢٥

قال تعالى: ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ (لما نكثوا) فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ (في البحر) بِأَنَّهُمْ

كَذَّبُوْا بِآيَاتِنَا (أى لذلک السبب)وَكَانُوْا عَنهَا غَافِلِيْنَ﴾ (١)

لقي موسى عليه السلام الأهوال من بنى اسرائيل فى سبيل دعوتهم الى عبادة الله و كانت المعجزات التى أيده الله بها كافية لأن تنزع منهم كافة رواسب الوثنية ورغم هذا فقد كانت تعاودهم الوثنية التى الفوها طوال عهدهم مع المصريين ، فمن مظاهر ذلک أنهم عند ما جاوزوا البحر مروا على قوم يعبدون الاصنام فطلبوا من موسى أن يتخذ لهم صنما يعبدونه مثل هؤلآء القوم الذين يعبدون الاصنام دينهم باطل واعمالهم خاسرة، ولذا فان مصيرهم الهلاک، ثم ابدى (اظهر) عجبه كيف انهم يطلبون معبودا غير رب العالمين الذى خصهم باكرامه، وفضلهم على الامم التى كانت فى زمانهم بوحيه ورعايته. حيث قال تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي اِسْرَائِيْلَ الْبَحْرَ فَاَتَوْا عَلٰي قَوْمٍ يَعْكُفُوْنَ عَلٰي اَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوْا يَا مُوْسَي اجْعَلْ لَّنَا اِلٰهًا كَمَا لَهُمْ اٰلِهَةٌ قَالَ اِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُوْنَ. اِنَّ هٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّاهُمْ فِيْهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ. قَالَ اَغَيْرَ اللّٰهِ اَبْغِيْكُمْ اِلٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَي الْعَالَمِيْنَ.﴾ (٢)

تلک صورة من ضلالات بنى اسرائيل فى حياه موسى وفى حياة هٰرون. اما ضلالاتهم بعد ذلک فتكاد تكون سلسلة من البغى يقتلون فيها النبيين ويحرفون الكلم عن مواضعه وهكذا حتى خلا التاريخ من هداية روحية يُقَدِّمُهَا رجل من بنى اسرائيل الى الجنس البشرى اوشعاع من الضوء النفسى يكون فيه للانسان نية

١= سورة الاعراف، آية: ١٣٦ ٢= سورة الاعراف، آيات: ١٣٨ الى ١٤٠

هدى او بصيرة. (١)

وعلى شريعة موسى عليه السلام بعث الله تعالى انبياء عديدين الى بني اسرائيل من اشهرهم سيدنا سليمان وزكريا ويحى ويونس وداود عليهم السلام.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾ (٢) وقال الله تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ. وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ (٣)

وقد بذل كل نبي قصارى جهده كداعية صادق الى الله تعالى لكن الاسرائيليين كفروا بكل ما سمعوا وتمسكوا بما ثبت في نفوسهم من غرائز وعادات اشهرها الحقد، والمداهنة، والكذب، والتامر، وفقدان الانسانية، والجبن والخداع، الى غير هذه الصفات التى لازمتهم خلال تاريخهم الطويل الممتد من بدء تجمعهم فى مصر الى وقتنا الحاضر. (٤)

١٧ـ دعوة عيسى عليه السلام: آخر دعوات الله الى بنى اسرائيل هى دعوة عيسى عليه السلام وهى الدعوة التى سبقت دعوة الاسلام مباشرة ودعوة المسيح خاصة ببني اسرائيل يقول تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أى وأرسله رسولاً الى بني اسرائيل ولم يكن عيسى مرسلا الى غير بني اسرائيل الا أنهم لمارفضوه

١= دكتور احمد شلبي. مقارنة الاديان الاسلام. ص: ٣٨

٢= سورة البقرة، آية: ٨٧

٣= سورة النمل، آية: ١٥ـ١٦

٤= دكتوراحمد احمد غلوش. الدعوة الاسلامية. ص: ١٣٥

وكذبوه أرسل بعض أتباعه الى بعض الأمم الأخرى﴾ (١) ﴿وَإِذْ قَالَ عِيْسَى بْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُوْلُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ (أي واذكر يامحمد ﷺ لقومك هذه القصة حين قال عيسى لبني اسرائيل اني رسول الله أُرْسِلْتُ اليكم بالوصف المذكور في التوراة والانجيل حال كوني مصدقا ومعترفا بأحكام التورلة ولم آتكم بشئ يخالف التوراة بل هي مشتملة على التبشير بي فكيف تنفرون عني وتخالفوني) وَمُبَشِّرًا بِرَسُوْلٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ (واذا كنت كذلك فلامقتضى لتكذيبي. وأحمد اسم نبينا ﷺ وتفسيره في الأصل الذي يحمده بمافيه من خصال الخير أكثر ممايحمد غيره﴾ (٢)

بعث الله عيسى عليه السلام نبيا وهو فى حوالى الثلاثين من عمره بعد ان تلقى من ربه الوحى وعلمه التوراة والانجيل ورسولا الى بنى اسرائيل. (٣) ﴿وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيْلَ فِيْهِ هُدًى وَنُوْرٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِيْنَ (أي ان الانجيل آتيناه عيسى عليه السلام مشتملا على الهدى والنور مصدقا لمابين يديه من التوراة يرافقها ويثبت مافيها من الحق﴾ (٤)

اخذ عيسى عليه السلام يبشر فى الناس برسالة ويدعوهم الى اتباعه ويسعى فى أن يرد اليهود عن زيفهم ويصدهم عن ضلالهم، ويبين لهم ما اختلفوا فيه من حلال والحرام، ويحل لهم بعض الذى حُرِّمَ عليهم. قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيْسَى

١= سورة آل عمران آية: ٤٩
٢= سورة الصف، آية: ٦
٣= سورة آل عمران، آية: ٤٨
٤= سورة المائدة، آية: ٤٦

بِالْبَيِّنَاتِ (بالمعجزات الواضحة والشرائع وهي الانجيل) قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ (أي النبوة وبما تقتضيه الحكمة الالهية من الشرائع، وقيل: مايرغب فى الجميل ويكف عن القبيح) وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِى تَخْتَلِفُوْنَ فِيْهِ (من أحكام التوراة ومن أمور الدين، قال ابن جزى: وانما قال: بَعْضَ الَّذِى تَخْتَلِفُوْنَ فِيْهِ دون الكل لأن الأنبياء انما يبينون أمور الدين لا أمور الدنيا. قال الطبرى: يعني من الأمور الدينية لا الدنوية) فَاتَّقُوْا اللّٰهَ (أي فاتقوا الله بامتثال اوامره واجتناب نواهيه) وَاَطِيْعُوْن (وأطيعوا أمرى فيما أبلغه اليكم من التكاليف وفيما آمركم به من التوحيد والشرائع) إِنَّ اللّٰهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوْهُ (هذا بيان لما أمرهم بأن يطيعوه فيه أي ان الله عزوجل وعلا هو الرب المعبود لارب سواه فأخلصوا له الطاعة والعبادة.

قال ابن كثير: أي أنا وأنتم عبيد له فقراء اليه مشتركون في عبادته وحده) هٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيْمٌ (أي هذا التوحيد والتعبد بعبادة الله وحده والعمل بشرائعه طريق موصل الى جنات النعيم﴾ سورة الزخرف، آيات: ٦٣ ـ ٦٤

ولكن اصطدم عيسى عليه السلام فى دعوته بجدال الصدوقيين وكانوا فرقة من اليهود تنكر اليوم الاخر وما فيه من حساب وجزاء، كما اصطدم بجدال الرؤساء الدينيين المنحرفين فى المفاهيم الدينية الخاطئة وهم الفريسيين والكتبة والكهنة، ولكن عيسى افمهم بحججه القوية الدامغة وبين فساد ملكهم، ولكن العناد والكفر ظلا مسيطرين على هؤلاء ولما وجد عيسى تيار العناد يقوى وبواد الكفر تطفى وقف

فی قومه قائلا من انصاری الی اللّٰه؟ فلباه تلامذه الذین آمنوا به، واعلنوا ایمانهم بجراءة وهم القلة وسط جموع الكافرین.(١)

وهـذا ما يقصه القرآن علينا: ﴿فَلَمَّآ اَحَسَّ عِيْسٰى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ اَنْصَارِیْ اِلَى اللّٰهِ (أي من انصاري في الدعوة الى الله وتبليغ رسالته الى الناس) قَالَ الْحَوَارِيُّوْنَ (وكانوا اثنى عشر رجلا وهم تلاميذه وأخص الناس به) نَحْنُ اَنْصَارُ اللّٰهِ (أنصار دينه ورسله) اٰمَنَّا بِاللّٰهِ وَاشْهَدْ بِاَنَّا مُسْلِمُوْنَ (أي إشْهَدْ لنا يوم القيامة بأنا مخلصون فی ایماننا، منقادون لماتريد منا﴾ (٢)

وقد وقف الاسرائيليون عيسى عليه السلام فخانه يهوذا احد الحواريين واسلموه للرومان وكفروا بدعوته وقد رفعه اللّٰه اليه. واتباعه يعدون على اصابع اليد وصدق اللّٰه فی قوله عن مخالفيه. حيث قال الله تعالى ﴿لُعِنَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا مِنْ بَنِيۤ اِسْرَآئِيْلَ عَلٰى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ أي فی الزبور والانجيل بمافعلوه من المعاصي، كاعتدائهم في السبت وكفرهم بعيسى عليه السلام، أي ذلک اللعن بسبب المعصية والاعتداء لابسبب آخر ﴿ ذٰلِکَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوْا يَعْتَدُوْنَ. كَانُوْا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُّنْكَرٍ فَعَلُوْهُ﴾ كانوا لاينهون العاصي عن معاودة معصية قدفعلها أوتهيأ لفعلها، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم القواعد الاسلامية وأجل الفرائض الشرعية ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوْا يَفْعَلُوْنَ﴾ أي من تركهم لانكار مايجب عليهم

١- عفيف عبد الفتاح طبارة. مع الانبياء فی القرآن الكريم. ص: ٣٢٣-٣٢٤

٢- سورة ال عمران آية: ٥٢

انكاره. عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ ان أول مادخل النقص على بني اسرائيل كان الرجل يلقى الرجل فيقول له ياهذا اتق الله ودع ماتصنع فانه لايحل لك' ثم يلقاه من الغد فلايمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم لعنهم. (١)

ومع كل هذا فانهم كفروا واستكبروا وملأوا الأرض بالفساد والشر.

انحراف المسيحية: بعد وفاة المسيح عليه السلام بحوالى سبعين سنة وهو تاريخ الأناجيل الأربعة انبثقت عدة أراء خالف بعضها البعض وكان محور الخلاف شخصية المسيح عليه السلام، وماحول تلك الشخصية من السوء الروحى والسحر السماوى الالهى والنور الملكوتى الباهر فاى يناقشه شخصية المسيح على اساس طبيعة واحدة بمشية واحدة. ورأى يناقش تلك الشخصية على أن المسيح طبيعة واحدة بمشيئتين.

ورأى الثالث يناقش شخصية المسيح على أنها طبيعتان ومشيتان. ومن تلك الأراء المتباينة ظهرت فى عالم المسيحية طوائف متباينة الأراء كل طائفة آمنت برأى من الأراء الثلاثة، والطوائف الثلاث تزعم قيادتها ثلاثة من الكهنة قاد كل منهم طائفة آمنت برايه.

فأول الكهنة (أريوس) وسميت طائفة بالأريوسيون والثانى، هو (نسطور)

١= سورة المائدة، آية: ٧٨

وسميت طائفة بالنسطوريين.

والثالث، وهو (يعقوب الاسحاقى) وسمى اتباعه باليعاقبة، او اليعقوبيين.
ولكن تلك الطوائف الثلاث اصبحت فيما بعد طائفتين لانقراض الطائفة الثالثة وذوبانهم في الطائفتين، والطائفتان الجديدتان هما طائفتان الاورثو ذكس. والكاثو ليك اللذين لايزالان فى وقتنا الحاضر. ولم يظهر في ذلك الحين البرو تستانت حيث أن البرو تستانت لم يظهروا الا فى عام (١٥٢٩) ميلادى على يد زعيم المحتجين. (مارتن لوثر) (١)

واخيرا كانت الدعوة الاسلامية خاتمة لكل الدعوات الالهية مستفيدة منها، متميزة بشمولها عمومها ودوامها معبرة عن سائر مطالب الانسان فى اسمى مراحل تطوره بما حوت من عقيدة وشريعة واخلاق.

وبهذا ظهر أن الدعوات السابقة مابقيت على حالتها الأصلية بحيث تصلح بها أحوال الناس فكان أمس الحاجة الى ارسال الرسول وهو رسول هذه الأمة.

المبحث الثالث

حالة الأديان الوضعية قبل الاسلام

الديانات كانت فى عهد موسسيها منارا لهدى ومدارس للحب والسلام، ومبعثا من بواعث طمأنينة القلوب وبعد أن مات مؤسسوها سار اتباعهم بسيرة

١ = محمد فؤاد الهاشمي. الأديان فى كفة الميزان. ص: ٣٢ ـ ٣٣

صالحة تناسب نوعا ما سيرة هداتهم الاطهار وان لم تتفق معها تماما ثم انقضت عصور اولئك ايضا وابتدأت عصور مقليديهم الذين انحطوا عمن تسلموا منهم امانة الدين والهدى والإيمان والحق انحطاطا هائلا في جميع نواحي الحياة الروحية، وهكذا انقضت عصورهم وقام على أثارهم غيرهم وجلهم يجتبى فى نفسه مجد العالم وان كانت أزياؤهم نفوسهم تمثل المجد الوحى واصبح الدين مع سمو جوهره وحقيقة مصدره قضايا كلامية لاتجد لمسائلها وهو امشها المتسعة منطقا يبررها، ولا ايمان يسندها، ولا عقولا تقبلها وان كانت من أعز الحقائق في أصولها، وغير هؤلاء الرسل والأنبياء فقد ظهر حكماء وضعوا نوامس. وان كانت وضعية الا أنها لاتبعد كثيرا من نواميس الأديان وان تخللها بعض الثغرات وذلك سنة الانسان، أنه لايمكن أن يصل الى الكمال المطلق فيكون عمله ناقصا، وكاد هؤلاء الحكماء أن يكونوا أنبياء وهم على كثرة عددهم ولكن لم يشتهر منهم واصبح له اتباع ومدارس ومومن بحكمتهم وتقديسهم. (١)

فنتعرض في هذا المبحث بالاختصار الى بعض الأديان الوضعية الموجوده ومنتشرة فى الجزيرة العربية وما يجاورها قبل الاسلام، وحالة الوضع هذه الأديان والأوضاع السياسي.

فمنها المجوسية: وهى دين الأغلبية فى الفرس، لايعرف الزمن الذى

١ – محمد فؤاد الهاشمي. الاديان في كفة الميزان. ص: ٩

نشائت فيه المجوسية، ولكن لاريب لدى المورخين فى أن هذه الملة من مخلفات الأديان القديمة التى عرفها الجنس الأرى من الجبل الابيض، وأنها الدين الأول للهنود الذين استوطنوا الجنوب الشرقى لنهر السند كما اعتنقها الشعب الفارسى القديم. (١)

وقد قيل أن عبادة النار كانت فى الارض من عهد قابيل كما ذكر ابو جعفر ابن جرير أنه لما قتل قابيل هابيل وهرب من أبيه آدم اتاه ابليس فقال له أن هابيل انما قبل قربانه واكلته النار لأنه كان يخدمها ويعبدها فانصب أنت نارا تكون لك ولعقبك، فبنى بيت للنار فهو أول من نصب النار وعبدها، وسرى هذا المذهب فى المجوس فبنوا لها بيوتا كثيرة واتخذوا الوقوف والسدنة والحجاب، فاتخذ لها (افريدون) بيتا (بطوسى) واخر (ببخارى) واتخذ لها (بهون) بيتا (بمجستان) واتخذ لها (ابو قتادة) بيتا (بناحية بخارى) واتُخِذَ لها بيوتٌ كثيرةٌ وعباد النار يفضلونها على التراب ويعظمونها ويصون رأى ابليس وقد رُمِىَ بشار بن برد بهذا المذهب، لقوله فى قصيدته:

الأرض سافلة سوداء مظلمة + والنار معبودة مذ كانت النار (٢)

وحوالى النصف الأخير من القرن السابع قبل الملاد ظهر زرداشت، زر داشت شخصية لها فعاليتها فى مجال العقيدة فى بلاد فارس من قديم، اسمه فى

---

١ - دكتور عبد الحميد بخيت. ظهور الاسلام. ص: ١٧

٢- السيد محمود شكرى الالوسي. بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب. ص: ١٣٣ - ٢٣٣. ج: ٢

الفارسية القديمة (زراتسترا) وفى الفارسية الحديثة (زرداشت) كان بداء حياته العقيدية نظرا وفكرا ووعيا. [(١)

وجاء زرداشت (٦٢٠ - ٨٣ - ق- م) مصلحا اجتماعيا اتجه فى تفكيره الى اصلاح اتجاهات مواطنيه الدينية، فادمج في ديانته طائفة من المعبودات الفارسية القديمة بعد تهذيبها، وانتهى به التفكير الدينى الى القول بإلهين اومجموعتين من الآلهة المجموعة الأولى آلهة تحب الخير على رأسها (اهورا مازد) والمجموعة الثانية مجموعة شريرة يتزعمها (اهرمان) والنضال الذى لاينقض الا بعد الاف السنين حيث ينتصر الخير ويهزم، أهرمان. (٢)

ودعا الى اصلاح المجوسية واستطاع أن يفرض تعاليمه الفرس، وجاء هم بكتاب ذى اقسام خمسة وهو (الافستا) الذى يشمل على مجموعة من الأدعية واطقوس الدينية، ثم جعلت من التشريعات الأخلاقية التى تحض على عمل البر والمعروف وتزكية النفس، وتقرر الزرداشتية أن زروان اكرينى هو المبداء الأول لكل شئ، وأنه أبدى أزلى ثبت غير متحرك وأنه خلق (اورمورد) سيد العلم والحكمة ومصدر الحياة والنور وكذلك خلق (اهرمان) عدوا ورمورد، ومبداء كل شر مادى وادبى. (٣)

وأمر بالاتجاه الى جهة الشمس والنار ساعة الصلوة لأن النور رمز الى الاله،

١= محمد فواد الهاشمى. الأديان في كفة الميزان. ص: ٢٧ ٢= دكتور احمد شلبي. مقارنة الاديان. ص: ٣٠

٣= دكتور عبد الحميد بخيت. ظهور الاسلام. ص: ١٧

وأمر بعدم تدنيس العناصر الأربعة وهى النار والهواء والتراب والماء، وجاء بعده علماء سنوا للزرداشتيين شرائع مختلفة فحرموا عليهم الاشتغال بالأشياء التى تستلزم النار فاقتصروا فى اعمالهم على الفلاحة والتجارة، ومن هذا التمجيد للنار واتخاذها قبلة فى العبادات تدرج الناس الى عبادتها حتى صاروا يعبدونها عينا ويبنون لها هياكل ومعابد، وانقرضت كل عقيدة وديانة غير عبادة النار وجهلت الحقيقة.(١)

العوامل المؤثرة فى تلك الحياة تنقسم الى قسمين هما الخير والشر فا النور عندهم رمز اله الخير، اهور مذدا، عاش زمنا طويلا ثم ظهر اهرمان اله الشر، وأن سبب وجود اله الشر أن اله الخير هو الذى طلب قوة مضادة لكى تظهر قوته فقدموا لاله الخير القرابين ثم تطورت العبادة من عبادة النور الى عبادة النار. (٢)

ومن عبادتهم لها أن يحفروا لها اخدودا مربعا فى الأرض ويطوفون به وهم اصناف مختلفة، فمنهم من يحرم القاء النفوس فيها واحتراق الأبدان بها وهم اكثر المجس، وطائفة أخرى منهم تبلغ بهم عبادتهم لها أن يقربوا انفسهم وأولادهم لها وهؤلاء اكثر ملوك الهند واتباعهم، ولهم سنة معروفة فى تقريب نفوسهم والقائهم فيها فيعمد الرجل الذى يريد أن يفعل ذلك بنفسه او بولده او حليلته فيجعله ويلبسه احسن اللباس وافخر الحلي ويركب أعلى المركب وحوله العازف والطبول

---

١ = ابو الحسن على الحسنى الندوى. ماذا خر العالم بانحطاط المسلمين. ص: ٥٣

٢ = محمد فواد الهاشمى. الأديان في كفة الميزان. ص: ٢٢

والبوقات فيزف الى النار اعظم من زفافه ليلة عرسه حتى اذا قابلها ووقف عليها وهى تأجج طرح نفسه فيها فضج الحاضرون صيحة واحدة بالدعاء له وغبطه على ما فعل فلم يلبثوا الا يسيراً حتى تأتيهم الشيطان فى صورته وهيئته وشكله لاينكرون منه شيئا فيأمرهم بأمره ويوصيهم بالتمسك بهذا الدين ويخبرهم أنه صارالى الجنة ورياض وانهار وأنه لم يمس النار له فلايهولنهم ذلك ولايمنعهم أن يفعلوا مثله.

ومنهم زهاد وعباد يجلسون حول النار صائمين عاكفين عليها، ومن سنتهم الحث على الأخلاق الجميلة كا الصدق والوفاء واداء الأمانة والعفة والعدل وترك أضدادها، ولهولآء شرائع فى عبادتها، ونواميس واوضاع لايخلون بها. (١) وهكذا حرمت أمة الفارسية فى حياتها دينا عميقا جامعا يكون تربية للنفس وتهذيبا للخلق، وقامعا للشهوات وحافزا على التقوى وفعل الخيرات، ويكون نظاما للأسرة وتدبيرا للمنزل، وسياسة ادولة ودستورا للامة ويحول بين الناس، وطغيان الملوك وعفو الحكام ويأخذ على يد الظالم وينتصف للمظلوم، واصبح المجوس لافرق بينهم وبين اللادينيين والاباحيين فى الأخلاق والأعمال.(٢)

الأديان فى الصين: شهدت الصين فى القرن السادس قبل الميلاد حكيمين شهيرين هما(لاموتسى) الذى ينطق اسمه احيانا، لوتى، و(كونغ فوتسى) الذى ينطق اسمه كونفيشوس، واولهما اسن بحوالى خمسين منة تقريبا وقد تقابلا وكان

١ = السيد محمود شكرى الألوسي. بلوغ الارب في معرفة احوال العرب. ص: ٢٣٣. ج: ٢

٢ = ابو الحسن على الحسنى. ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين. ص: ٥٣

لاموتسى فى شيخوخته وكونغ فوتسى فى شبابه، وتدارس الثانى مع الأول بضع مشكلات ولكن كان لكل منها اتجاه فافترقا، فقد كان الأول داعية قناعة وزهد وتسامح مطلق دعا الى مقابلة السيئة بالحسنة على نحو ما نسب للمسيح فيما بعد.

أما كونفشيوس فكان يدعو الى العدالة والاستقامة ومقابلة السيئة بمثلها ومذهب الأول يعرف بالتاوية او الطاوية

أما مذهب الثانى فيعرف بالكنفوشية وهو اكثر انتشارا وذيوعا فى الصين كنفوشيوس، ولد سنة (١٥٥١) قبل الميلاد فى مقاطعة (لو) من اعمال ولاية شانتنج وكان منذصباه مغرما بتقليد الكهنة فى تقديم القرابين واقامة الشعائر الدينية، ولما كبر اثر فى حياته ما شب عليه فى صغره فقد تولى اعمالا كثيرة فى الحكومة، ثم عمل مدرسا ومن وحى التدريس وحبه للالقاء والتلقين نشاء عنده لتفكير والتاء مل، وخرج على الناس بمذهبه الذى وضع تعاليمه وأرائه ووضع له الأسس والمبادى التى دان لها واعتقدها وآمن بها كثير من أهل الصين، وقد عمل على نشر مذهبه بكل ما أوتى من جهد ووسائل وامكانيات فقد كان ينتقل من ولاية الى ولاية يبشر بهذا المذهب حتى مات فى سن الثالثة والسبعين.(١)

وجد كنفوشيوس قومه غارقين فى بحر من الأوهام عاكفين على التفكر فى عالم الأرواح والتأمل فى ذات الله مضيعين الوقت فى البحث عن صفات الملائكة

١ = محمد فؤاد الهاشمي. الأديان في كفة الميزان. ص: ٢٧

واجـند الـمـنقبين عن الحياة المقبلة بعد الموت جل هممهم تقديم القرابين واقامة الشعـائـر الـديـنية لارضـاء أرواح اسـلافهـم باحثين عما يرضى قوى الطبيعية عنهم فالسماء لاتمطر لأن الهه غاضب والكواكب لاتظهر لأنها غير راضية والشمس فى كسوف لأن أهل الأرض عـصـاة وبهـذا انـصـرفوا عن الحياة انصرافا تاما واصبح الشعـب متكـاسـلا غاية التـكـاسل مما نتج عنه وقوف عجلة الحياة وخيم الجهل بالواجب والحق على الناس.

فـخـرعـليهـم كـنـفـوشيـوس بـمذهب فدعا الى معرفة كل انسان ما عليه من واجبات وماله من حقوق وبين ماهية الفرد فى المجتمع وواجبه نحو مجتمعه وحقه فى ذلك الـمـجتمع، فرق بين العبادة والعمل وجعل لاصلاح المجتمع اسسا منها اصـلاح الـفـرد هـو اصـلاح الأسـرة وصلاح الأسرة هو صلاح المجتمع، ودعا أهل الـصـيـن لـلعلم كما بث فيهم روح الفضيلة والتأخى والحب والطهر والنقاء والصبر والعزة والكرامة والتزود من المعرفة.

وكـان يـلـقـى دروسـه عـلـى هيئة محاضرات كلامية فلم يكتب حرفا واحدا ولـكـن كان تلاميذه يجمعون ما يخرج من فيه من حكم وبذلك اعتبر اكبر حكماء الصين.

ومـؤسـس الـديـانـة الـصـيـنية واجـمع الصينيون على عبادته وتقديس تعاليمه وحكمه واصبحت الكتب التى تركها بعد موته والتى كتبت بخط تلاميذه كتبا

مقدسة لها من القداسة ما لأى كتب السماوية حتى اعتبرت فيما بعد دستورا للصين وهذه الكتب ثلاثة هى: ١ـ مختارات كنفوشيوس. ٢ـ تعليم البالغين. ٣ـ الاعتدال (١)

١ـ فقد كانت تبني المعابد فى الصين على هيئة هيكل عظيم بداخله هياكل ثلاثة ترمز المذابح ثلاثة لكل معبود هيكل.

١ـ مذبح الكواكب والأفلاك السماوية والأرضية وهذا تقدم فيه القرابين للشمس والقمر والكواكب والنجوم والأرض والتلال والجبال والأنهار وما الى ذلك من القوة الطبيعية.

٢ـ مذبح الأرواح حيث كانوا يعتقدون أن أرواح أبائهم وأجدادهم وملوكهم تهديهم فى تلك الحياة وتقف معهم وقت الشدة والرخاء، فكانوا يقدمون القرابين لها فى هذه المذابح زيادة فى ارضائها ويستهدونها فى أمورهم الحاضرة والمقبلة ويطلبون منها السعادة فى حياتهم.

٣ـ مذبح الاله الأعظم وهو خاص بعظيم السماء وهذا المذبح اقدم المذابح واعظمها واكبرها لاتجد حلوه اصناما اوتماثيل اودمى لأنه مذبح الاله الغير المنظور. ويعتقد الصينيون فى عظيم السوء او الاله الغير المنظور أنه الرب العظيم ومالك الأكوان ذو الفضل غير المتناهى ليس له مكان اوزمان موجود فى كل الوجود اينما توجه الانسان فهو معه، وغير ذلك من الاعتقادات فقد تحولت

---

(١) المرجع السابق. ص: ٢٩

العبادة من كونها لاله السماء او عظيم السماء الاله الغير المنظور الى أن أصبحت الثالوث وضعه فيلسوف الصينى يدعى (فوفى)

١ـ تى ين. اوالاله المجهول غير المنظور.

٢ـ تشانج: ارواح الأباء والحكماء والملوك.

٣ـ نى سز: الشمس والكواكب السيارة.

وكان المذبحان الاول والثاني المخصصين لعبادة الاقنومين.

الأولين من الثالوث تقام حولها الأصنام والتماثيل التى ترمز الى صورة الأباء والحكماء والحكام والملوك، كما كانت تقام التماثيل التى ترمز الى القوى الطبيعية ومن ذلك اصبح الصينيون يعبدون الأصنام، ومن الصين انتقلت هذه المبادى الى اليابان حتى اصبحت العائلة المالكة فى اليابان الهة واعظم الالهة الامبراطور. المرجع السابق، ص: ٢٩ـ٣٠

البوذية: تنسب البوذية لرجله أصله من الهندوس قد لقب ببوذا، وينتمى هذا الرجل الى قبيلة (ساكيا) التى كان لها السلطان على الأرض الواقعة بين مدينة بنارس وجبال الهملايا شمال نهر الكنج، وكان ابوه يدعى (سدودنا) احد نبلاء هذه القبيلة يمكل الضياع الفسيحة والقصور الشاهقة ويمتع بالجاه العريض، وكان هذا النبيل متزوجا من نبيلة تدعى (مايا) فكان بوذا الثمرة الأولى لهذا الزواج وقد ولد فى اوائل القرن السادس قبل الميلاد واطلق عليه اسم (سذهاتا) وماتت امه فى

الأسبوع الأول من ولادته فاحتضنته خالته (مهايا باتى) فترعرع الطفل ونشاء نشأة الأمراء وابناء الملوك.(١)

ولما بلغ من عمره التاسعة والعشرين تخلى عن ملك ابيه وثروته واسرته وانفرد فى الفرق يطلب الحقيقة ثم عاد بعد أن بلغ من العمر ستا وثلاثين عاما.(٢) وفى طريق عودته الى أهله مال الى شجرة فى غابة (ارويلا) ليتناول فى ظلها طعامه بيدانه احسن ببعض السعادة النفسية تحت ظلال هذه الشجرة وبينما هو كذلك اذ هتف به هاتف من نفسه أن يجاهد نفسه هذا اليوم حتى يعرف سر الكون ويقول غوماتا فجلس تحت تلك الشجرة وقلت لعقلى وجسدى اسمعا لاتبرحا هذا المكان حتى اجد ذلك الحق لينتف الجلد ولتتقطع العروق ولتنفصل العظام وليقف الدم عن الجريان لن اقوم من مكانى حتى اعرف الحق الذى انشده فينجنى، ومن هذا التاريخ اطلق على هذا الرجل اسم (بوذا) ومعناه العارف المستيقظ والعالم المتنور كما أن الشجرة التى كان بوذا يجلس تحتها قد سميت شجرة العلم او الشجرة المقدسة، اما غابة (اورويلا) فقد اطلق عليها من ذلك الحين اسم (بوذا كيا) وقد استقر راى بوذا على أن ينشر مذهبه الجديد فترك غابة بوذا كيا وذهب الى مدينة بنارس حيث كان يعيش رفاقة النساك الخمسة فدعاهم الى مذهبه فاطاعوه ثم اخذ ينشر فكره حتى اجتمع له ستون شابا فعلمهم مبادئه ولقنهم دعوته

١= عبد القادر شيبة الحمد. الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة. ص: ٤٧

٢= عبد الحميد بخيت. ظهور الاسلام. ص: ٢٦

وطلب منهم القيام بنشرها وفارقهم ليرى اسرته ويزور اهله وعند ما وصل الى اسرته حاولوا منعه من فكرته واخبروه أنها خيالات ترائت له، فلم يقبل نصح أهله ودعا الى اتباعه، فاشتهرت دعوته وصارت تعرف باسم النظام اوعجلة الشريعة، وقد عمد بوذا الى بعث خيرة اتباعه الى نواح متفرقة من بلاد هند لبعث.

وقد استمر بوذا ينشر دعوته حتى مات وهو فى سن الثمانين من عمره، فاحترقت جثته، وقسم اتباعه رمادها الى ثمانية اجزاء بعثوا بكل جزء منها الى ناحية من النواحى التى اتبعته فبنيت فوق الرماد المعابد البوذية الضخمة.

افكار بوذا: كان يقول ان اخلاص الانسان متوقف عليه لا على الا له، ويرى أن الانسان صانع مصير نفسه، ويوصى اتباعه قائلا كونوا لأنفسكم جزائر قائمة بنفسها، وكونوا لأنفسكم موائل وكهوفا ولاتقتصموا بملاذ خارجى، ولاتحتموا بغير أنفسكم ثم صار بوذا يحارب معتقدى الألوهية فقد وقف فى احدى خطبه يسخر ممن يقول بوجود الإ له وجاء فى خطبته هذه أن المشائخ الذين يتكلمون عن اللّٰه لم يروه وجها لوجه فهم كالعاشق الذى يذوب كمنا وهو لايعرف من هى حبيبته، او كا الذى يبنى السلم وهو لايدرى اين يوجد القصر.

وكان يحارب العقائد الدينية ولاسيما ما يتصل با لاله، ولكن البوذية تطورت بعد بوذا فدخلتها مسائل الألوهية واصبح بوذا نفسه معبودا كآلهة الهندوس، وقد انقسمت البوذية الى قسمين: ١ـ البوذية القديمة. ٢ـ البوذية الجديدة.

فالبوذية القديمة هي التي اثر اصحابها أن لايبتعدوا عن أراء بوذا نفسه مهما كانت الظروف، وصار يطلق عليها المذهب الجنوبى اذ انتشرت فى بورما وسيلان، وقد سجلت كتبها بلغة هندية قديمة هى اللغة البالية.

اما البوذية الجديدة: فقد دخلتها الأفكار الجديدة واقرت الألوهية وتسمى المذهب الشمالى اذقد انتشرت فى الصين واليابان ونيبال واندونيسيا وقد سجلت كتبها باللغة السنسكرتية، وقد شعب البوذية الجديدة بسبب الحنارات التى وفدت هذه البوذية اليها فى افكارها.

فشعبة من هذه الشعب تعتقد بوحدانية الله وأن الله اوجد العالم واسباب بقائه، ثم تركه مكتفيا بهذا الاسباب.

وشعبة ترى أن الله يفرغ الكمالات الانسانية فى كل زمن على انسان يتجرد لعبادته ويبتعد عن ارضاء الشهوات الحيوانية، وهذا الانسان المختار يحل محل الاله فى اظهار الرضاء عن بعض الناس اوالغضب عليهم تبعا لأعمالهم، وشعبة تدعى أن الله يحل فى اى صورة يختارها من صور افراد الانسان ليكملها ويطهرها، وبعضهم يدعى أن بوذا ابن الله وأنه جاء ليخلص البشر وينقذهم من الخطايا، ويلقبون ام بوذا بأنها والدة الآلهة. (تعالى الله عما يقولون)

أما البوذيون الصينيون فقد جعلوا آلهة البوذية ثلاثة وثلاثين الها على الطريقة التى كانوا عليها قبل البوذية. عبد الحميد بخيت. ظهور الاسلام. ص: ٤٥ـ ٤٦

فقد اتفقت كلمة المؤلفين فى تاريخ الهند أن احط ادوارها ديانتا (و خلقا واجتماعا ذلك العهد الذى يبتدئ من مستهل القرن السادس الميلادى، قد ساهمت الهند جاراتها وشقيقاتها فى التدهور الخلقى والاجتماعى، الذى شمل الكرة الأرضية فى هذه الحقبة من الزمن واخذت نصيبا غيرمنقوص من هذه الظلام الذى مد رواقه على المعمورة وامتازت عنها في ظواهر وخلال يمكن أن نلخصها في ثلاث: ١- كثرة المعبودات والآلهة كثرة فاحشة.

٢- الشهوة الجنسية الجامعة.

٣- التفاوت الطبقى المجحف والامتياز الاجتماعى الجائر. (١)

الأديان فى الجزيرة العربية قبل الاسلام

عرفت الجزيرة العربية كلها الأديان والعقائد القديمة التى كانت البشرية تعتنقها قبل الاسلام.

عرفت الموسوية أى اليهودية فى يثرب وماحولها وفى اليمن التى هى محكومة بملوكها من تبع، وسمعت عن المجوسية بحكم اتصالها بامارة المناذرة العربية بالفرس، وتلاقت عيونها من بعيد على الصائبة عبادة النجوم فى الشمال، وفى تدمر، ودمشق، وعرفت عبادة الاصنام فى مصر، ومكة هى مركز الوثنية. (٢) كانت النصرانية اكثرحظا فى الانتشار من اليهودية بين العرب قبل الاسلام، وقدورد

١= ابو الحسن على الحسنى الندوى. ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين. ص: ٥٦

٢= فواد على رضا. ام القرى مكة المكرمة. ص: ١٧٥

فى الشعر الجاهلى اشارات كثيرة الى انتشارها بين عدد من قبائل العرب الا أن النصرانية لم تستطع من ذلك التغلغل فى قلب شبه الجزيرة العربية نفسها. ويرجع سبب انتشار النصرانية فى اطراف جزيرة العربية، غرب وجنوب وشرق الجزيرة اتصالها بطريق التجارة مع البلاد النصرانية ومجيئ تجار النصارى والمبشرين مع القوافل الى هذه المناطق. وتعتبر الحيرة من المراكز النصرانية التى كانت لها اثر كبيرفى انتقال هذه الديانات الى بلاد العرب فقد اصبحت هذه المدينة مركزا سقافيا سنة(٤١٠ م) وتحول كثير من عربها الى النصرانية، وكان يأتيها عدد من تجارمكة ومن الطائف وبقية انحاء الحجاز فانتقلت النصرانية عن طريق اتصال هولاء التجار بنصارى الحيرة, كذلك كانت بلاد الحبشة من المراكز التى انبعثت منها النصرانية الى بلاد اليمن والحجاز بفضل بعض المبشرين السوريين منهم (فيميون الراهب) وكان من الزهاد، وقيل أنه اتصل به رجل من أهل الشام يدعى صالحا فتوغلا فى بلاد العرب فاحتفظتهما سيارة من العرب وباعوهما بنجران فنجح فيميون فى حمل أهلها على اعتناق النصرانية وتمكن من تاء سيس كنيسه يعقوبية، وفى سنة (٣٥٦ م) أرسل الامبراطور البيزنطى قسطنطيوسى بعثة الى بلاد العرب الجنوبية برئاسة (ثيوفيلسى) اندس الأريوس كان على مذهب اريوس الذى انكرلاهوت المسيح وافلح (ثيوفليسي) في انشاء بيعة فى عدن وبيعتين فى ارض حمير. (١)

١ = الدكتور رشيد الجميلي. تاريخ العرب فى الجاهلية وعصر الدعوة الاسلامية. ٢٣٣- الى ٢٣٦

اليهودية: دخل اليهودية بلاد العرب على شكل جماعات متعاقبة استقرت فى الواحات الخصبة من الحجاز كوادى القراء وتيماء، وخيبر، وفدك، ويثرب، كما انتشرت جماعات منهم فى بلاد اليمن واليمامة والبحرين، ولايعرف على وجه التحديد زمن دخول هولآء اليهود بلاد العرب او كيفية مجيئهم واستقرارهم فيها، وكانت يثرب المركز الأكبر لليهودية عند ظهور الاسلام، وما فى اليمن فقد تعرض يهودها الى ضغط الأحباش الذى فتحوا اليمن فى سنة (٥٢٥ - م) فلم يبق لليهود شأن يذكر عند ظهور الاسلام وهناك جاليات اليهودية اخرى كانت منتشرة فى الأجزاء الشرقية من جزيرة العربية وقد دفع هولآء الجزية فيمن دفعها من أهل الذمة ولم يرد فى الأخبارما يشيرالى وجود جاليات اليهودية فى هضبة نجد، وهذا لايعنى نفى ذهاب اسر اليها للتجارة فى تلك الأنحاء. (١)

الوثنية: كثرت الديانات الوثنية فى بلاد العرب قبل دخول الديانات السماوية كاليهودية والنصرانية والاسلام، ونشأت هذه الديانات الوثنية من فكرة عبادة العرب للمظاهر الطبيعية التى تقع تحت ابصارهم كالأرض والسماء والنجوم والكواكب. (٢)

عبادة الكواكب. راينا أن طائفة من العرب، وهم طائفة من تميم وبعض قبائل لخم وخزاعة وقريش عبدت الكواكب والنجوم كالشمس والقمر والزهرة ونضيف

١ - جواد على. العرب قبل الاسلام. ص: ٨ - ٩

٢ - دكتور رشيد الجميلي. تاريخ العرب فى الجاهلية وعصر الدعوة الاسلامية. ص: ٢١٨

الى هذه الكواكب الثلاثة كواكب أخرى كالدبران والعيوق والثريا والشعرى والمرزم وعطارد وسهيل.

فكنانة كانت تعبد القمر والدبران، وجرهم كانت تسجد للمشترى، وطى عبدت الثريا والمرزم وسهيل، وبعض قبائل ربيعة عبدت المرزم، وطائفة من تميم عبدت الدبران وبعض قبائل لخم، وخزاعة وقريش عبد ت الشعرى العبور وهى الشعر اليمانية.(١)

وأول من سن ذلك لهم ابو كبشة وجزء بن غالب جد وهب بن عبد مناف ابو آمنة ام رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم، فلما بعث الرسول وخالف قريشا وغيرهم من العرب فى عبادة الأوثان كانوا يسمونه ابن ابى كبشة لمخالفته لهم كمخالفة ابى كبشه لهم فى عبادة الشعرى وهى التى عناها اللّٰه تعالى بقوله: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ﴾ هي كوكب خلف جوزاء كانت خزاعة تعبدها' وقيل: انما ذكر سبحانه أنه رب الشعرى مع كونه ربا لكل الأشياء للرد على من كان يعبدها(٢)

المجوسية: كذلك عرف العرب عبادة النار او المجوسية عن طريق الفرس فى الحيرة وفى اليمن وفى البحرين، وكانت المجوسية عند العرب الجاهلية فى تميم منهم زرارة ابن عدس التميمي وابنه حاجب بن زرارة. (٣)

الزندقة: كذلك انتقلت الزندقة الى العرب من الحيرة ووجدت الزندقة فى

١= عبد العزيز سالم. دراسات فى تاريخ العرب. ص: ٣٢٦ — ٢= سورة النجم. آية رقم: ٤٩

٣= السيد محمود الشكرى. بلوغ الارب فى معرفة احوال العرب. ص: ٢٣٩. ج: ٢

قريش لاحتكاكهم بالفرس عن طريق التجارة.

والزندقة نوعان: زندقة ثنوية. وهى القول بالنور والظلمة ومنها المزدكية. والمانوية والزرداشتية.

وزندقة دهرية، لقول من يومن بها بالدهر وفى ذلك قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوْا مَا هِيَ اِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ أي ما الحياة الا الحياة التي نحن فيها ﴿نَمُوْتُ وَنَحْيَا﴾ أي يصيبنا الموت والحياة فيها وليس وراء ذلك حياة' وقيل: نموت نحن ويحيا فيها أولادنا' ثم يموتون ويحيا أولادهم وهكذا ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا اِلاَّ الدَّهْرُ﴾ أي الا مرور الأيام والليالي ﴿وَمَا لَهُمْ بِذٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ أى ماقالوا هذه المقالة الا شاكين غير عالمين بالحقيقة ﴿اِنْ هُمْ اِلاَّ يَظُنُّوْنَ﴾ غاية ماعندهم الظن ولايستندون الا اليه. (١)

عبادة الجن: وهم شرذمة قليلون من اهل البوادى قد حكى الله تعالى ذلك عنهم بقوله: ﴿وَاَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْاِنْسِ يَعُوْذُوْنَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ﴾ كان العرب اذا نزل الرجل بواد قال: أعوذ بسيد هذا الواد من شر سفهاء قومه' فيبيت في جواره حتى يصبح ﴿فَزَادُوْهُمْ رَهَقًا﴾أي زاد رجال الجن من تعوذ بهم من رجال الانس رهقا أي سفها وطغيانا أي من الجن أنفسهم على الانس المستجيرين بهم ﴿وَاَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ اَنْ لَّنْ يَّبْعَثَ اللّٰهُ اَحَدًا﴾ المعنى: وأن الانس ظنوا كما ظننتم أيها الجن أنه لابعث ولاجزاء. (٢)

١= سورة الجاثية، آية رقم: ٢٣

٢= سورة الجن، آية رقم: ٦ـ٧

وقال تعالى: ﴿بَلْ كَانُوْا يَعْبُدُوْنَ الْجِنَّ﴾ أي الشياطين وهم ابليس وجنوده ويزعمون أنهم يرونهم وأنهم ملائكة وأنهم بنات الله ﴿اَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُّؤْمِنُوْنَ﴾ أي أكثر المشركين بالجن مؤمنون يصدقون مايلقونه اليهم من الوساوس والأكاذيب ومنها أمرهم بعبادة الأصنام. (١)

عبادة الملائكة: وهم أفراد من العرب قد رد الله عليهم بقوله: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيْعًا﴾ للحساب العابد والمعبود والمستكبر والمستضعف ﴿ثُمَّ نَقُوْلُ لِلْمَلاَئِكَةِ اَهٰؤُلاَءِ اِيَّاكُمْ كَانُوْا يَعْبُدُوْنَ﴾ تقريعا للمشركين وتوبيخا لمن عبد غير الله عزوجل ﴿قَالُوْا سُبْحَانَكَ اَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُوْنِهِمْ﴾ أي تنزيها لك أنت الذى نتولاه ونطيعه ونعبده من دونهم ما اتخذناهم عابدين ولانتولاهم وليس لنا غيرك وليا(٢)

عبادة الصائبة: وهم من يعتقد فى الأنواء اعتقاد المنجمين في السيارات حتي لايتحرك ولايسكن ولايسافر ولايقيم الابنوء من الأنواء ويقول مطرنا بنوء كذا. والصائبة أمة كبيرة من الأمم الكبار، وقد اختلف الناس فيهم اختلافا كثيرا بحسب ما وصل اليهم من معرفة دينهم، وهم ينقسمون الى مومن و كافر، قال الله تعالى: ﴿اِنَّ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا﴾ المراد بالذين آمنوا الذين صدقوا النبي ﷺ وصاروا من جملة اتباعه ﴿وَالَّذِيْنَ هَادُوْا﴾ معناه صاروا يهودا" وقيل: معنى هادوا تابوا لتوبتهم عن عبادة العجل ﴿وَالنَّصَارٰى﴾ نسبة الى الناصرة قرية فلسطين منها المسيح عليه

١ = سورة سباء، آية رقم: ٤١
٢ = سورة الجن، آية رقم: ٤٠

السلام، وقيل سموا بذلك لأنهم نصروا المسيح عليه السلام ﴿وَالصَّابِئِيْنَ﴾ هم قوم خرجوا من ي‌ين اليهود والنصارى وعبدوا الملائكة، منهم البقايا بالعراق ﴿مَنْ اٰمَنَ بِاللّٰهِ﴾ أي من آمن منهم أي من الطوائف الأربع ﴿وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ اَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُوْنَ﴾ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: فأنزل الله بعد هذا: ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ (١)

فذكرهم في الأمم الأربع الذين تنقسم كل أمة منهم الى ناج وهالك، وذكرهم ايضا في الأمم الست الذين انقسمت جملتهم الى ناج وهالك كما قال اللّٰه تعالى: ﴿اِنَّ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا﴾ أي بالله وبرسوله وهم المسلمون ﴿وَالَّذِيْنَ هَادُوْا﴾ وهم اليهود المنتسبون الى ملة موسى عليه السلام ﴿وَالصَّابِئِيْنَ﴾ فرقة معروفة لاترجع الى ملة من الملل المنتسبة الى الأنبياء ﴿وَالنَّصَارٰى﴾ هم المنتسبون الى ملة عيسى عليه السلام ﴿وَالْمَجُوْسَ﴾ هم الذين يعبدون النار، ويقولون ان للعالم أصلين: النور والظلمة، قيل: كان لهم كتاب فرفع ﴿وَالَّذِيْنَ اَشْرَكُوْا﴾ الذين يعبدون الأصنام ﴿اِنَّ اللّٰهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ﴾ يقضي بينهم فيدخل المؤمنين منهم الجنة والكافرين منهم النار، وقيل: الفصل هو أن يميز المحق المبطل. (٢)

فذكر الأمتين اللتين لا كتاب لهم ولاينقسمون الى شقي وسعيد وهم

١= سورة البقرة. آية: ٦٢ ٢= سورة الحج، آية رقم: ١٧

المجوس والمشركين في آية الفصل ولم يذكرهم في آية الوعد بالجنة، وذكر الصابئين فيهما فعلم أن فيهم الشقي والسعيد وهؤلآء كانوا قوم ابراهيم الخليل عليه وعلى نبينا الصلوة والسلام، وهم اهل دعوته. (١)

بعد التعرض الموجز الى الأديان الوضعية والسماوية، يمكن أن يشارالى حالة هذه الأديان والأوضاع البشرية قبيل مبعث خاتم الأديان كلها، بأن قبل ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم، أى فى القرن السادس الميلادى كانت الديانات على اسوأ مايكون من التحريف والتبديل، بل قل أن الوثنية قدعمتها جميعا وعلى السواء أهل الكتب المنزلة كاليهودية والمسيحية، والكتب غير المنزلة كالبرهمية والبوذية مثلا.

ويدل على ذلك قول الله تعالى وصفا لذلك العصر وتعزيزا لرسالة صلى الله عليه وسلم ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ المراد بالبحر المدن والقرى التى على الأنهار والبحار والبر المدن والقرى التي ليست على بحر أونهر ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ بين الله سبحانه أن الشرك والمعاصي سبب لظهور الفساد في العالم، وظهور الفساد هو القحط وعدم النبات، ونقصان الرزق، وكثرة الخوف وكساد الأسعار، وقلة المعاش وقطع السبل، والظلم وغير ذلك ﴿لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ أي ليذيقهم عقاب بعض عملهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عما هم فيه من

---

١ = السيد محمود الشكرى الألوسي. بلوغ الارب في معرفة احوال العرب. ص: ٢٢٣. ج: ٢

المعاصي ويتوبون الى الله﴾ (١)

وكانت المسيحية قد جائت قبل الاسلام للقضاء على الوثنية فاصبحت وبالأسف فرسة لها، حيث طمس (بولس) نور المسيحية، بالخرافات والوثنية وقضى قسطنطين على بقيتها حتى اصبحت النصرانية مزيجا من الخرافات اليونانية والوثنية الرومية، والأفلاطونية المصرية، وحرف الانجيل واسرف المسيحيون فى عبادة القديسيين والتماثيل والصور واتخذوا الرهبان اربابا من دون الله، ومن قال أنه ثالث ثلاثة ومن قال المسيح هو الله. (٢)

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِيْنَ قَالُوْا اِنَّ اللّٰهَ هُوَ الْمَسِيْحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ أي صاروا بقولهم هذا من الكافرين' والقائلين بهذه المقالة هم فرقة منهم يقال لهم اليعقوبية' قيل:هم الملكانية قالوا: ان الله عزوجل حل فى ذات عيسى' فرد الله عليهم بقوله: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَابَنِي اِسرَائِيلَ اعبُدُوا الله رَبِّي وَرَبَّكُم﴾ اي والحال أنه قدقال المسيح هذه المقالة' فكيف يدعون الالهية لمن يعترف على نفسه بأنه عبد مثلهم ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِيْنَ قَالُوْا اِنَّ اللّٰهَ ثَالِثُ ثَلٰثَةٍ﴾ والمراد بالثلاثة: الله سبحانه وتعالى وعيسى ومريم' وقيل المراد قولهم: ثلاثة اقانيم' أقنيم الأب وأقنيم الابن وأقنيم روح القدس﴿وَمَا مِنْ اِلٰهٍ اِلَّآ اِلٰهٌ وَاحِدٌ﴾ ليس فى الوجوداله حق الاالله سبحانه وقيل: هذا من تمام مقالة النصارى أي انهم قالوا هم ثلاثة وقالوا هم واحد. (٣)

١= سورة الروم. آية رقم: ٤١ ٢= محمود ابو الفيض المتوفى. سيرة سيد المرسلين. ص: ١٣٨

٣= سورة المائدة. آية: ١٧-٧٢.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُوْدُ عُزَيْرُ بْنُ اللهِ﴾ هذا عندما جاء عزير فأملى عليهم التوراة من صدره بعد نسيانهم لها ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيْحُ بْنُ اللهِ﴾ قالوا هذا لمارأوا من احيائه للموتى مع كونه من غير اب ﴿ذٰلِكَ قَوْلُهُمْ بِاَفْوَاهِهِمْ﴾ أي أن هذا القول لماكان ساوجا ليس فيه بيان ولاعضده برهان' كان مجرد دعوى ليس فيها الاكونها خارجة من الأفواه غير مفيدة لفائدة يعتد بها ﴿يُضَاهِئُوْنَ قَوْلَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا مِنْ قَبْلُ﴾ شابهوا بهذه المقالة عبدة الأوثان في قولهم اللات والعزى ومناة بنات الله والملائكة بنات الله ﴿قَاتَلَهُمُ اللّٰهُ﴾ دعاء عليهم بالهلاك لأن من قاتله الله هلك' وقيل المعنى: لعنهم الله ﴿اَنّٰي يُؤْفَكُوْنَ﴾ أي كيف يصرفون عن الحق الى الباطل ﴿اتَّخَذُوْا اَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ اَرْبَابًا مِّنْ دُوْنِ اللّٰهِ﴾ كانوا اذا أحلوا لهم شيئا استحلوه واذا حرموا عليهم شيئا حرموه أطاعوهم فيما يأمرونهم به وينهون عنه فيمايخالف أحكام الله تعالى فنسخوا بذلك مافي كتاب الله فكانوا بمنزلة المتخذين لهم اربابا ﴿وَالْمَسِيْحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ أي اتخذه النصارى ربا معبودا وفيه اشارة الى أن اليهود لم يتخذوا عزيرا ربا معبودا ﴿وَمَا اُمِرُوْا اِلَّا لِيَعْبُدُوْا اِلٰهًا وَاحِدًا لَآ اِلٰهَ اِلَّا هُوَ﴾ أى وماأمر الأحبار والرهبان وعيسى وعزير الابعبادة الله وحده' فكيف يكونون آلهة؟ اوفكيف حق لأتباعهم أن يتخذوهم آلهة ﴿سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُوْنَ﴾ أي تنزيها له عن الاشراك في طاعته وعبادته. سورة التوبة. اية: ٣٠ـ ٣١

وكان شأن اليهود ايضا تلك التى تركت التوراة خلف ظهرها، بدأت تحل

محلها التلمود، وهو كتاب فقهي زعموا أنه كان شرحا للتوراة ثم كتاب الكبالا وهو كتاب سحر شعوذي، وكان الكتابان من وضع احبارهم وقد نسوا التوراة وصار كتابهم الديني من وضع ايديهم وكانت التوراة نفسها قبل ذلك تحرف بأن يحذف منها ويزداد عليها حتى تحولت من كتاب الهي سماوي الى كتاب تشريعي بشري ولذلك يقول الله تعالى فيهم ﴿مِنَ الَّذِيْنَ هَادُوْا يُحَرِّفُوْنَ الْكَلِمَ عَنْ مَّوَاضِعِهِ﴾ أي من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم عن مواضعه اي يجعلونه مكانه غيرة او المراد أنهم يتأولونه على غير تأويله ﴿وَيَقُوْلُوْنَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِاَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّيْنِ﴾ (١)

واتخذوا احبارهم اربابا من دون الله، وقالوا عزير بن الله، وارثهم تاريخهم الخاص ماتفردوا به بين الأمم من الجشع وشهوة المال وتعاطي الرباء وما اصابهم من اضطهاد اورثهم نفسية غريبة لو توجد في أمة، فان فردوا بخصائص خلقية كانت لهم شعارا على مدى العصور منها الخضوع عند الضعف، والبطش عند الغلبة، والنفاق والغدر واكل اموال الناس والصد عن سبيل الله، ولقد وصف القرآن ماكانوا عليه من تدهور خلقي وانحطاط نفسي وفساد اجتماعي. (٢)

وفي الدولة الفارسية في الشرق كانوا يعبدون الشمس والنجوم والنار، وكان الفرس يقدسون الاكاسرة وينظرون اليهم كانهم آلهة، وكان التفاوت كبيرا بين

١= سورة النساء. آية: ٤٦ ٢= محمود ابو الفيض المنوفي. سيرة سيد المرسلين. ص: ١٣٨

طبقة السادة والعبد، وانغمسوا فى الشهوات والفوضى الخلقية حتى الزواج بالمحرمات، وفى الصين يعبدون ماشائوا من الأشجار والأنهار.

وكانت البوذية مسرحا للجهل والوثنية، واصبحت العبادة قائمة على السحر والأوهام وفى الهند كثرت المعبودات والآلهة من اجرام والات وتماثيل وحيوانات اعظمها البقر، وانتشرت الخرافات وغرقوا فى الشهوات حتى اصبحت المعابد دورا للفسق وكان التفاوت بين الطبقات من براهمة وكهنة ورجال الحرب والزراعة والخدم وطبقة المنبوذون، واصبحت منزلة النساء كالأيمان.

وصف أحد العلماء حالة البشر عند البعثة النبوية فقال كان العالم أشبه ببناء أصيب بزلزال فقلب اوضاعه فاذا كل شئ فيه فى غير محله يتمثل هذا الوضع فى الفساد الذى عم الناس فقد فسدت عقولهم، ونظام تفكيرهم وفسد ذوقهم واختل احساسهم فهم يسجدون للشجر والحجر، ويخضعون لانظمة جائرة، جعلت من الذئب راعيا ومن الخصم قاضيا، ومن المجرم سيدا حظيا، ومن الصالح محروما شقيا، كل شئ فى هذه المجتمعات البشرية يسوقها الى الشقاء والدمار، فالخمر والخلاعة والفجور والربا واغتصاب الاموال واستيلاب حقوق المساكين والضعفاء كل ذلك امر شائع شامل، وقد بلغت القسوة حدها الاقصى فالصغار يقتلون ويوادون، والجبارون من الملوك الطغاة يقودون شعوبهم الى الحروب الطاحنة دون ماغاية سوى الحصول على الغنائم والرقيق، وتسجيل المآثر الفارغة

لانفس لاهم لهم سوى الانغماس فى الشهوات وتوفير المتارف والملذات، وشارك رجال الاديان في هذه المساوى الى ابعد الحدود فبدلا من العمل على اصلاح الاوضاع الفاسدة تعاونوا مع الظالمين على شعوبهم ففرضوا انفسهم اربابا من دون الله، يحلون باهوائهم، ويحرمون ليأكلوا اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله، وبالاجمال كانت الشعوب فى هذ العالم قطعانا من الغنم ليس لها راع، والسياسة كجمل هائج منطلق والحكام كسيف فى يد سكران يضرب به نفسه ومن حوله دون تفكير بالعواقب. (١)

وخلاصة القول ان جو العالم كان ملبدا بسحب الاضطرابات الواحشية فى كل جهة من جهات آسيا الصغرى والكبرى، وسائرا وربا شمالا وجنوبا وشرقا وغربا وقد تحرقت الديانات، وانحرفت وضاع بينهم الوازع الدينى والضميرى كان اعتمادهم هنا وهناك على وسائل الشر اكثر من اعتمادهم على وسائل الخير، وكان اكثر الروساء احتراما اشدهم اعلى قدرا الامن كسب الغنائم وسلب الامم والشعوب واستبعاد الناس من فقراء الحراثين الى بسطاء المتسولين. (٢)

وكان من الصعب على العقل المومن أن يتصور أن الله عز وجل سيترك الناس على مثل هذا الحال ولذا كان العالم ينتظر نبيا جديدا، بل كان من الموكد فى سائر الاذهان أن الله سيرسل رسولا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله،

١ = شيخ محمد المجذوب. مذكرة سيرة النبوية للسنة الاولى. ص: ١

٢ = محمود ابو الفيض المنوفي. سيرة سيد المرسلين. ص: ١٣٠

فيعيد الى العقيدة صفاء ها والى الدين فى مجموعة كرامته الضائعة، و كماله الذاهب ويشير القران الى تلك الحالة فيخاطب محمدا صلى الله عليه وسلم: ﴿تَاللّٰهِ لَقَدْ اَرْسَلْنَا اِلٰى اُمَمٍ مِّنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ اَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ اَلِيْمٌ﴾ أى والله لقد بعثنا قبلك يامحمد رسلا الى أقوامهم فحسن الشيطان أعمالهم القبيحة حتى كذبوا الرسل وردوا عليهم ماجاء وهم به من البينات, فالشيطان ناصرهم اليوم فى الدنياوبئس الناصر, ولهم فى الآخرة عذاب مؤلم. سورة النحل، آية: ٦٣

ويصف الله تفرق الناس وتحريف الملل لكتبهااذ ذاك فى قوله تعالي: ﴿كَانَ النَّاسُ اُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أى كانوا كلهم على دين واحد هوالاسلام بين آدم ونوح، وقيل: المراد نوح ومن فى سفينته , فقد كانوا على التوحيد ثم تطاولت القرون وانتشرت عبادة الأوثان فاصبح الناس مابين مؤمن و كافر ﴿فَبَعَثَ اللّٰهُ النَّبِيّٖنَ مُبَشِّرِيْنَ وَمُنْذِرِيْنَ﴾ أى لهداية البشر, البشارة لأهل الايمان وصلاح الأعمال والنذار ة لأهل الكفر والفساد ﴿وَاَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ﴾ أى جنس الكتب السماوية ليكون الكتاب السماوى حكما بين الناس ﴿فِيْمَا اخْتَلَفُوْا فِيْهِ﴾ من العقائد وشؤن الغيب وحسن الأعمال وقبحها. سورة البقرة، آية: ٢١٣

ولما كتب الله للبشر أن ترقى وتعرج فى معارج من الكمال والتسامى حتى وصلت كاملة فى النهاية الى اكمل الخلق وخاتم الانبياء ورسول الاسلام: قال الله

تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَامَ دِينًا﴾ أى لظهوره على الأديان كلها ولكمال أحكامه التى يحتاج المسلمون اليها من الحلال والحرام .(١)

وشاء الله أن ينقذ العالم من هذه المهلكات الموبقات بمبعث من يكون رحمة للعالمين، وشاء ان يفي بوعده لخليله ابراهيم عليه السلام، وأن يتم نعمته على فرع اسمعيل كما اتمها على فرع اسحاق، اذقد اخرج من صلبه ألوفاً من انبياء بنى اسرائيل، فأخرج محمد بن عبد الله من سلالة اسمعيل ليسد به ذلك الفراغ العظيم، ويشفى به الامة العربية ليلعبوا دورهم فى المسرح العالمى كما فعل لبني اسرائيل من قبل، وفضلهم على كثير ممن خلق تفضيلا. (٢)

اختيار العرب دعاة للدعوة الاسلامية

من عنايات الله تعالى بالدعوة الاسلامية اختيار العرب دعاة للدعوة الاسلامية بحيث أن العرب قد امتازوا بين أمم العالم وشعوبه بالقدح العلى، كالفصاحة وقوة البيان وحب الحرية والانفة والفروسية والشجاعة والحماسة فى سبيل العقيدة والصراحة فى القول وجودة الحفظ وقوة الذاكرة وحب المساواة، وقوة الارادة والوفاء والأمانة. (٣)

١= سورة المائدة. آية: ٣ ٢= آدم عبد الله الألورى. تاريخ الدعوة الاسلامية. ص: ٥٠

٣= ابو الحسن على الحسنى الندوى. ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين. ص: ٦١

وكانوا مشهورين بالحرية والانفة والشجاعة والبسالة حتى فى أيام محنتهم وغزو الفرس والروم لأطراف جزيرتهم كما كانوا ضرب المثل فى الكرم وحماية الدمار والحفاظ على المقدسات، ذلك أن دين العرب فى الجاهلية لم يفصم العلاقات الوثيقة بين ابناء العمومة بل ظل شعارهم دائما (انصر اخاك ظالما او مظلوما) وأشباهه من الشعارات التى سارت سير الامثال فى كل القبائل. (١)

وعلى الجملة فان الدعوة أثمرت اكلها بظهورها فى الأمة العربية حيث ناسبتها طبيعتهم البدوية والحضرية واخلاقهم الرفيعة وشجاعتهم الحليمة الوفية وذكائهم الحاد وفهمهم الدقيق وحافظتهم القوية حيث جائت الى كل هذه المزايا فنشطتها وسمت بها، وازالت منها السلبيات الموروثة، فوجد العرب أنفسهم بعد الاسلام تلقائيا يبذلون حماستهم وقوتهم للدعوة الاسلامية، ويعطون شجاعتهم وامكانياتهم لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي خدمة دعوته فتحركوا الى كل مكان من اجل نشرها تاركين كل ما يهمهم، واصبح تعصبهم اندفاعا لتنفيذ اوامر الدعوة وتعاليمها، وكان لهم من استعدادهم ما جعلهم يستفيدون بالدعوة ويفيدونها، وهكذا وضح الله السر فى اختيار الامة العربية لتظهر الدعوة الاسلامية فيها اولا، والله أعلم حيث يجعل رسالته. (٢)

---

١ = دكتور عبد الحميد بخيت. ظهور الاسلام. ص: ٢٨

٢ = دكتور احمد احمد غلوش. الدعوة الاسلامية. ص: ١١٣

واختيار محمد بن عبد الله ﷺ رسولا للدعوة الاسلامية

من عناية الله تعالى بالدعوة الاسلامية اختيار محمد بن عبد الله ﷺ رسولا للدعوة الاسلامية، كما اختار الله للدعوة الاسلامية لحملها خير أمة اخرجت للناس، اختار لها كذلك رجلها المتميز بصفات جعلته خير من يتلقى الوحي ويبلغه للناس ويتحمل في سبيل ذلك كل اضطهاد وعنت، وتلك سنة الله مع كل رسالاته ورسله فهو سبحانه وتعالى ﴿يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ﴾ اى الله يختار رسلا من الملائكة ليكونوا وسطاء لتبليغ الوحى الى أنبيائه, ويختار رسلا من البشر لتبليغ شرائع الدين لعباده, والآية رد على من أنكر أن يكون الرسول من البشر. (١)

إن النبى صلى الله عليه وسلم تميز من بين سائر العرب بما يلى: ١ـ عراقة الأصل، هيأت العناية الالهية سلسلة ممتازة من الأباء والأجداد للنبى صلى الله عليه وسلم ليأخذ منها عن طريق الوراثة كثيرا من الخلق والطباع ذلك لأن الوراثة عامل هام فى تكون الشخصية فهى تعمل أصل النمو وتاتى من داخل الكائن الحى.

فابوه عبد الله وجده عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب فهما يلتقيان معا فى الجد عبد مناف، أن قصى هو مجمع قريش ومنظم أمورها ومقسم المهام فيها ومؤسس دار الندوة وكان أمره فى العرب مطاعا، واطعام الحجيج هو ما يعرف بالوفاء، وقدقام بها عبد مناف

١ ـ سورة الحج، آية: ٧٥

ولما مات عبد مناف خلفه ابنه هاشم فقام بالرفادة خير قيام وكان يقول والله لو كان مالى يسع الرفادة ما كلفت احدا، وقد امتاز بالكرم وهو لذلك هشم الثريد لاهل مكة فسموه هاشما، وقد اشتهر بالحكمة والدقة ومكارم الاخلاق، وعبد المطلب هو جد النبى الاول وابن هاشم وقد شرف فى قومه شرفا لم يبلغه احد من ابائه حيث احبه قومه وعظم خطره فيهم، وهو شيخ مكة يوم قدوم ابرهة وهو الذى حفر الزمزم بعد أن هدى اليها، وهو الذى قدم احد ابنائه العشرة للذبح عند الكعبة وفاء للنذر، والذبيح الذى افدى هو عبد الله اصغر ابناء عبد المطلب ووالد النبى صلى الله عليه وسلم، وقد اشتهر بالعفة والطهر، وهكذا كانت تهيئة الله لنبيه قبل ميلاده، فجعل آبائه من الخلق خلقا ودينا ومسلكا، وجعل آبائه من بطن يتصل بكل بطون قريش اتصالا قائما على النسب والقربى.

٢ـ سمو الصفات، رغم أن النبى صلي الله عليه وسلم نشأ يتيما فقيرا الا ان العناية الالهية كانت له اهم من الوالد والمال، فلازمته منذ مولده وكانت له عوضا عن كل شئ فرزقته شخصية لها صفاتها العظيمة.

ومن اهم هذه الصفات، الواقعية فى تحليل الامور وقد نشأت هذه الصفة لان النبى صلى الله عليه وسلم من البداية عاش عيشة واقعية، فهو اليتيم المسترضع عند حلية المزامل للاطفال من بنى الحرث فى بادية بنى سعد بجمالها وسعتها وصفاتها وبساطتها، فاذا ما ترك البادية الى مكة تأخذه امه لزيارت قبر ابيه بجوار المدينة

ثم تموت هي فيعيش محمد بلا اب ولا ام، ويرحل وهو صغيرا الى البادية ويثرب ويعيش في مكة فقيرا يعتمد على نفسه.

أن هذه الواقعية هي التي جعلته في صغره يرعى الغنم لاهل مكة على اجر يتعاطاه ويعيش ويتأجر باموال الاغنياء بعد ماشب، وقد وضعه الله في رعى الغنم ليعلم كيف يكون راعيا وكيف يسوس رعاياه، ووضعه في التجارة ليتعلم من اعظم مدارس الحياة العملية وفهم الناس وطريقة الفوز الى اعماق الجماهير، فلقد رأى اقاليم مختلفة الطبع والطبيعة، وشاهد العديد من العقائد بسبب تنقله بين مكة ويثرب وديار بني سعد والشام، واطلع على المطالب النفسية للطوائف المختلفة والعمال ولم ينشأ منعزلا.

ففي هذه الفترة كان للنبي صلى الله عليه وسلم مسلك فاضل اشتهر به ورضى الجميع عنه، وكان النبي صلى الله عليه وسلم مثال الصدق والامانة في سلوكه حتى اشتهر بهاتين الصفتين وسماه الناس بالصادق الامين، وتجلت عناية الله به فلم يسجد لصنم قط ولم يقسم به مرة، وبدأ يلتمس الهدى متبعا ما بقى من دين ابراهيم وكانت العرب تعرف بعض هذا الدين.

وبالاختصار فان العناية الالهية تضمنت تهيئة النشأة القوية للنبى صلى الله عليه وسلم حيث احاطته بايواء قوى وشكلت شخصيته بالواقعية والاصالة عن طريق الاختلاط الواسع، والاعتماد على النفس والاستغناء عن الناس مع سعة الافق ودقة النظر وحب البحث عن الحق والتمسک به. (١)

الفصل الثاني

اختيار مكة المكرمة مكانا للدعوة الاسلامية

المبحث الأول: أهميتها الجغرافية

من عناية الله بالدعوة الاسلامية اختيار مكة المكرمة مكانا للدعوة الاسلامية، يمكن أن يعطينا تاريخنا الدينى ماندرک منه الحكمة فى اصطفاء مكة لمبعوث خاتم المرسلين بأن الرسالة المحمدية هى رسالة الوسط ورسالة الفطرة ورسالة العمل لخير الانسانية دون انتظار جزاء او انصاف من مخلوق، وهى شاملة لجميع قوانين العمران والحياة التى يصلح لكل بيئة فى كل عصر، ومن هنا لابد أن يجمع أهل البيئة التى يناط بها تنفيذ تلک الشريعة بين الفطرة وبين الوعى الأخلاقى والقدسية الدينية الموروثة عن الديانات السابقة حتى ولوكان وعيا أخلاقيا جانحا نحو الافراط او التفريط' وقدسية دينية مزقها شئوم الشرک والتحريف لأن الكشف عن معين الفطرة الحقة ومخاطبتها هو المهمة الصعبة التى

١ = الدكتور احمد احمدف غلوش. الدعوة الاسلامية. ص: ١١٣ - الي - ١٢٦. بتصرف. (واختصار)

تناط بالرسل فلا بد اذن لصلاحية أمة من الأمم لنهاء عقيدة الاسلام الخاتمة أن تتوفر فيها الشروط التالية: ١ـ أن تكون أرضها ذات صفة عالمية بحيث تكون دلائل العالمية فيها دائمة وثابتة تذكر أهلها بهذا المركز العالمى جيلا بعد جيل.

٢ـأن تكون السعة التى تذكر أهل تلك الأرض بتاريخهم العالمى سمة دينية بحيث تترك فى نفوس الناس أثارا من القدسية والأخلاق حتى ولو كانت باهتة المعالم او منحرفة عن خط الوسط.

٣ـ أن تكون الحياة فى تلك الأرض قاسية بحيث تكون طاردة لمن أراد المقام فيها الا الذين يتمتعون بامتياز دينى او وثنى يدر عليهم المال وذلك حتى لاتتوفى تلك البيئة أفكار جدلية فلسفية هى أخطر انتاج العقل على شرائع السماء. (١)ولا نجد فى العالم ابان البعثة المحمدية مكانا تتوفر فيه هذه الشروط الامكة فان لمكة أهمية الجغرافية والدينية والاقتصادية والسياسية.

أما الأهمية الجغرافية: تقوم مكة المكرمة فى واد لازرع ولاضرع فيه تكتنفها من كل جهاتها جبال صخرية جردا متباينة الارتفاع، وهى تقع عند تقاطع خط عرض ٢١/ ونصف شمالا بخط الطول ٣٩/ ونصف شرقا وتمتد من الغرب الى الشرق على مسافة ثلاثة كيلومترات طولا وما يقرب من نصف ذلك عرضا فى واد مائل من الشمال الى الجنوب، منحصر بين سلستى جبال تكاد أن تتصلان

---

١ ـ عبد القادر أحمد عطار. لما ذا بعث الرسول فى مكة. ص: ٢٣ـ ٢٤

بعضها من جهة الشرق والغرب والجنوب اعنى على أبواب مكة الثلاثة ولذا لاتشاهد ابنيتها للقادم عليها الا وهو على أبوابها.

أما وجه التسمية: قد فسر المؤرخون واللغويون العرب اسم مكة تفسيرات كثيرة لغوية وغير لغوية استنبطوها من مكانة الكعبة، وقد سميتها فى نفوس العرب أنها سميت مكة لأن العرب فى الجاهلية كانت تقول لايتم حجنا حتى نأتى مكان الكعبة فنمك فيه أى نصفر فيه صفير المكاء حول الكعبة، وكانوا يصفرون ويصفقون بأيديهم اذا طافوا بها. (١)

والعرب كانوا يحجون اليها، ومعني الحج هو الذهاب الى أماكن المقدسة فى أزمن موقوتة للتقرب الى الآلهة والى صاحب ذلك الموضع المقدس والحج بهذا المعنى معروف فى جميع الاديان تقربا وهو من شعائر الدينية القديمة عند الساميين. (٢)

وقد ورد اسم مكة فى المصادر اليونانية والرومانية القديمة، فذكرها بطليموس الاسكندرى (ماكورابا) لما كانت قبائل الجنوب هى أول من سكن هذا الوادى فالأرجح أن اسمها اخذ من لغة الجنوب مستندا الى البيت، فمكة او مكرب كما ذكرها بطليموس كلمة يمنية مكونة من مك ورب، ومك بمعنى بيت فتكون مكرب بمعنى بيت الرب ومن هذه الكلمة اخذت مكة او بكة بقلب الميم

١= محمود شرقاوى. مكة المكرمة. ص: ١٣ الى ١٥ ٢= جواد على. تاريخ العرب قبل الاسلام. ص: ٢١٣. ج: ٥

باء على عادة اهل الجنوب. (١)

ومن هنا اكتسبت مكة القداسة والكرامة لوجود بيت الله فيها حيث يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ لعبادة الله تعالى فى الأرض ﴿لَلَّذِىْ بِبَكَّةَ﴾ البيت الكعبة نبه تعالى بكونه أول متعبد على أنه أفضل من غيره' وبكة هي مكة ﴿مُبَارَكًا﴾ البركة: الخير الكثير الحاصل لمن استقر فيه اويقصده لكثرة الخيرات التي فيه ولأجل الثواب المضاعف ﴿وَهُدًى لِّلْعٰلَمِيْنَ﴾ لعله لمافيه من اقامة توحيد الله وذكره في المشاعرة واحياء سنة الخليلين ﴿وَلِلّٰهِ عَلَي النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ تأكيدا لحقه وتعظيما لحرمته ﴿مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيْلًا﴾ التقدير أن يحج البيت من استطاع اليه سبيلا' والاستطاعة هي: الزاد والراحلة ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ أي ومن كفر بالآيات البينات في فضائل الكعبة ﴿فَإِنَّ اللّٰهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعٰلَمِيْنَ﴾ هو تعالى شأنه وتقدس سلطانه غني لاتعود اليه طاعات عباده بأسرها بنفع. (٢)

فأول بيت شرعه الله للعبادة فى العالم كله كان موضوعا للناس جميعا فى مكة وهو الكعبة، بل إن تشريع الحج اليها مكتوب على القادرين جميعا ولم يكتب على شعب دون شعب ولا أمة دون أمة ولاعصر دون عصر حتى لقد جاء فى مصادر التاريخ والسنة أن الرسل قد حجوا اليه فى العصور الغابرة. (٣)

قيل موضع الكعبة موضع أول بيت وضعه الله فى الأرض ويؤيد هذا الرأى

---

١ = محمود شرقاوى. مكة المكرمة. ص: ١٣ ٢ = سورة آل عمران. آية رقم: ٩٦ـ٩٧ تفسير زبدة التفسير من فتح القدير ٣ = عبد القادر احمد عطار. لماذا بعث الرسول في مكة. ص: ٨

بقوله تعالي: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ أي وكما أوحينا الى الرسل قبلك أوحينا اليك يامحمد قرآنا عربيا معجزا بلسان العرب لالبس فيه ولاغوض ﴿لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أي لتنذر بهذا القرآن أهل مكة ومن حولها من البلدان' قال الامام الفخر: وأم القرى اصل القرى وهي مكة' وسميت بهذا الاسم اجلالا لها لأن فيها البيت ومقام ابراهيم' والعرب تسمى أصل كل شئ أمه.(١)

مكة المكرمة عاصمة حجاز: حجاز يشتمل على مدن وقرى أهمها مكة والمدينة والطائف وخيبر، والاعتبارات الجغرافية والاقتصادية هى التى ساعدت على نشؤ هذه المدن الحجازية.

فالحجاز أقليم جبلى مساير لبحر الأحمر من الجنوب الى الشمال من اليمن الى فلسطين يمر به أحد طريقى التجارة البر يين الهامين بين الشرق والغرب مبتداء من موانى اليمن مخترقا تهامة الحجاز مارا بمكة ويثرب حتى يصل الى ايلة على خليج العقبة، ثم موانى البحر المتوسط والتجارة بين الشرق والغرب هامة جدا وضرورية وذلك لاختلاف المناخ بين اقطار الشرق الهندى والغرب الأروبى مما استتبع اختلاف الغلات وحاجة كل منها الى منتجات الاخر وفى هذا نجد سر الأهمية الكبيرة التى اتفقت لقدمر المدينة القديمة الواقعة فى البادية فكانت تحمى القوافل وتضمن سلامة المواصلات وعلى مر الزمن صارت محطات هذه القوافل

١- سورة الشورى آية رقم: ٧] تفسير صفوة التفاسير ج٣

ومنازلها مدنا شيئا فشيئا، وكانت أغلب هذه المدن فى الحجاز وأهمها مكة المكرمة. (١)

الحجاز تقع فى الجزيرة العربية التى تحتل موقعا متوسطا فى نصف الكرة الذى يشمل قارات آسية وافريقة واروبة اذا جاز التعبير قلب العالم القديم، حد جزيرة العربية من الشرق بحر عمان وخليج البصرة ونهر الفرات ومن الجنوب بحر العرب ومن الغرب البحر الأحمر قناة السويس ومن الشمال البحر المتوسط (٢)

وتحتل الجزيرة العربية موقعا ممتازا بين قارات العالم الثلاثة القديمه فهى تقع فى الركن الجنوبى الغربى من قاره آسيا كما تتصل بالقارة الافريقية فى ركنها الشمالى الشرقى حيث برزخ السويس قديما وقناة السويس فى الوقت الحاضر كما انها تشرف بحدها الشمالى على الشرف البحر المتوسط الذى يصلها بقارة اروبا، أما من ناحية الخريطة الحضارية للعالم قبيل الاسلام فانها تقع عند نقطة التقاء الحضارتين السائدتين يومئذ وهما حضارتين الفرس والروم. (٣)

تعتبر الجزيرة العربية بموقعها الجغرافى سرة العالم لأنها تقع فى وسط، وتتصل بكل أجزائه وأقاليمه ففى شرقها توجد الدولة الفارسية وفى شمالها توجد الدوله الرومانية وفى غربها توجد مصر والحبشة وفى جنوبها توجد الهند وغيرها،

---

١ = احمد ابراهيم الشريف. مكة والمدينة فى الجاهلية وعهد الرسول. ص: ١٦

٢ = مولانا محمد على. حياة محمد ورسالته. ص: ٩ ٣ = احمد ابراهيم الشريف. مكة والمدينة فى الجاهلية وعهد الرسول. ص: ايضا. احمد حسين. نبى الانسانية. ص: ١٧٦ـ١٧٧

وقد ساعد على التغلب على عوائقها الطبيعة من مرتفعات وبحار، أن العربى كان على خبر كامل بشعابها وطرق مواصلاتها فكثيرا ماجابها راكبا ابله فى قوافل التجارة واسواق العرب وايضا فلقد ركب العربى البحر الى الهند والحبشة ولذلك لم تقف هذه الموانع الطبيعية امام ارادة العربى اذا اراد أن يخرج منها الى العالم ومن هنا سهل تبليغ الدعوة من مكة الى العالم بارسال الرسل والكتب واستقبال الوفود وبعث الجيوش الى كل مكان من غير جهد اوعناء. (١)

واحيطت الجزيرة العربية منيعة اذوحدت الميا، فى ثلاث من جهاتها والجهة الرابعة كانت مرتفعات فى الشمال وهى حواجز تحتاج فى عبورها الى تدريب وتمرس شاق ماتعلمها العربى الا لحاجته اما غيره فليس له الى ذلك حاجة، وبذالك وقفت هذه الحواجز كسد قوى امام المجموعات الغازية من الفرس او من الروم ولم تمكنهم من اختراقها، فعاشت الجزيرة تبعا لهذا بعيدة عن الخضوع لسيطرة الفرس والروم عسكريا او عقيدويا.

وكثيرا ماحاول الفرس والروم الوصول اليها فى وسطها لكنهم عجزوا فاكتفوا بالاستيلاء على اطرافها فى الجنوب والشمال وارسال الجواسيس الى مكة كعاملين فى بيوت تجارية من قبل الدولة الرومانية الاحباش، وقد ترتب على منع الغزاة من الوصول الى سرة الجزيرة العربية آثار هامة حيث احتفظ العربى بسجيته

---

١ = دكتور احمد احمد غلوش. الدعوة الاسلامية. ص: ٨٢

وفطرته ولم تداخله تناقضات الفكر ولامتاهات الفلسفة والجدل.

ومن هنا كانت المجابهة العربية ضد الحملة قومية شاملة لعرب اليمن والأعارب فى البوادى، ولأهل مكة وفى اكثر من موقف ظهر هذا كله افاد الدعوة الاسلامية اذ تمكنت من صهر النزعة الدينية عند العرب وتحويلها الى معبود واحد، كما أن النزعة القومية اعطت العرب روح الغيرة والحماس والاندفاع تبعا لمشاعرهم وبا الدعوة تحولت هذه الخصائص الى مصلحة الاسلام وفى خدمته وايضا فان بعد الروم والفرس عن وسط الجزيرة مكن الدعوة من النمو التدريجى على سنة البشر قبل أن تتمكن هذا ولوقارنا سائر الأماكن بالمكان الذى اختير لظهور الدعوة الاسلامية لوجدنا غيرصالحة لأن تظهر الدعوة فيها. (١)

المبحث الثاني

أهمية الدينية لمكة المكرمة

قد حصل لمكة المكرمة أهمية الدينية منذ أن أنزل الله تعالى آدم عليه السلام من الجنة الى الأرض، كما روى عن بن عباس رضى الله عنهما قال: لما أهبط الله آدم عليه السلام الى الأرض من الجنة كان رأسه فى السماء ورجلاه فى الأرض وهومثل الفلك من رعدته قال فطأطأ الله عزوجل منه الى ستين، فقال يا رب مالى لا اسمع اصوات الملائكة ولا احسهم قال حطيئطك يا آدم ولكن اذهب

١ = احمد احمد غلوش. الدعوة الاسلامية. ص: ٨٥

فابن لي بيتا فطف به واذكرني حوله كنحو ما رأيت الملائكة تصنع حول عرشي، قال فاقبل آدم يتخطأ فطويت له الأرض وقبضت له المفاوز فصارت كل مفازة يمر بها خطوة، وقبض له ما كان من مخاض مائا وبحرا فجعل له خطوة ولم تقع قدمه في شئ من الأرض الا صار عمرانا وبركة حتى انتهى الى مكة فبنى البيت الحرام، وإن جبرئيل عليه السلام ضرب بجناحه الأرض فابرز عن اس ثابت على الأرض السفلى فقفذت فيه الملائكة من الصخر ما لايطيق حمل الصخرة منها ثلاثون رجلا وأنه بناه من خمسة اجبل من لبنان، وطور، زيتا، وطور سيناء، والجودى، وحراء حتى استوى على وجه الأرض.

قال بن عباس رضي الله عنهما فكان أول من أسس البيت وصلى فيه وطاف به آدم عليه السلام حتى بعث الله الطوفان، قال وكان غضبا ورحبا قال فحيث ما انتهى الطوفان ذهب ريح آدم عليه السلام، قال ولم يقرب الطوفان أرض السند والهند، قال فدرس موضع البيت في الطوفان حتى بعث الله ابراهيم واسمعيل عليهما السلام فرفعا قواعده واعلامه، وبنته قريش بعد ذلك، وهو بحذاء البيت المعمور لوسقط ما سقط الا عليه. = الأزرقي. اخبار مكة. ٣٦-٣٧

وايضا طاف عليها سفينة نوح عليه السلام كما روى، عن عكرمة عن بن عباس رضي الله عنهم قال: كان مع نوح في السفينة ثمانون رجلا معهم أهلوهم، وأنهم كانوا اقاموا في السفينة مائة وخمسين يوما، وأن الله وجه السفينة الى مكة

فدارت بالبيت أربعين يوما ثم وجهها الله تعالى الى الجودى، قال فاستقرت عليه فبعث نوح عليه السلام الغراب ليأتيه بخبرالأرض فذهب فوقع على الجيف وابطأ عنه فبعث الحمامة فأتته بورق الزيتون ولطخت رجلها بالطين فعرف نوح أن الماء قد نضبت فهبط الى اسفل الجودى فابتنى قرية وسماها ثمانين، فاصبحوا ذات يوم وقد تبلبلت السنتهم على ثمانين لغة، احداها العربية قال فكان لايفقه بعضهم عن بعض وكان نوح عليه السلام يعبرهم.

وايضا بين نوح وابراهيم عليهما السلام كانت لمكة أهمية دينية، كما روى عن مجاهد أنه قال: كان موضع الكعبة قد خفى ودرس فى زمن الفرق فيما بين نوح وابراهيم قال: وكان موضعه اكمة حمراء مدرة لاتعلوها السيول غير أن الناس يعلمون أن موضع البيت هنالك ولايثبت موضعه وكان ياتيه المظلوم والمتعوذ من اقطار الأرض ويدعو عنده المكروب، فقل من دعا هنالك الا استجيب له وكان الناس يحجون الى موضع البيت حتى بوأ الله مكانه لابراهيم عليه السلام لما أراد اعمار بيته واظهار دينه وشرائعه، كما قال تعالى:﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ اي اذكر حين أرشدنا ابراهيم وأهمناه مكان البيت ﴿أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا﴾اي أمرناه ببناء البيت العتيق خالصا لله قال ابن كثير: أي ابنه على اسمى وحدى ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ اي طهر بيتى من الأوثان والأقذار لمن يعبد الله فيه بالطواف والصلوة.(١)

١ = سورة الحج آية رقم: ٢٦ صفوة التفاسير ج٢

أى الغمامة التى ركدت على الحفاف لتهديه مكان القواعد فلم يزل منذ اهبط الله آدم عليه السلام الى الأرض معظما محرما بيته تتناسخه الأمم والملل أمة بعد ملة، قال: وقد كانت الملائكة تحجه قبل آدم عليه السلام.

كما روى عن عثمان بن ساج قال اخبرنى سعيد أن آدم عليه السلام حج على رجليه سبعين حجا ماشيا وأن الملائكة لقيته بالمازمين فقالوا برحجك يا آدم انا قد حججنا قبلك بالفى عام.

وهو بيت الذى هاجر اليه ابراهيم عليه السلام خرج من الشام معه ابنه اسمعيل وأمه هاجرة واسمعيل طفل يرضع كما أخبرنا الله تعالى بقوله: ﴿رَبَّنَا إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي﴾ أي ياربنا اني أسكنت من أهلي ولدي اسماعيل وزوجي هاجرة ﴿بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾ أي بواد ليس فيه زرع فى جوار بيتك المحرم وهو وادي مكة شرفها الله تعالى:- سورة ابراهيم. آية رقم: ٣٧] صفوة التفاسير ج٢

وروى عن عثمان بن ساج قال اخبرنى محمد بن اسحاق قال بلغنى أن ملكا أتى هاجرة أم اسمعيل حين أنزلها ابراهيم بمكة قبل أن يرفع ابراهيم واسمعيل القواعد من البيت فاشار لها الى البيت وهو ربوة حمراء مدرة، فقال لها هذا أول بيت وضع للناس فى الأرض وهو بيت الله العتيق واعلمى أن ابراهيم واسمعيل يرفعانه للناس، كما يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ لعبادة الله تعالى فى الأرض ﴿لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ البيت الكعبة نبه تعالى بكونه أول متعبد على أنه أفضل

من غيره' وبكة هي مكة ﴿مُبَارَكًا﴾ البركة: الخير الكثير الحاصل لمن استقر فيه اويقصده لكثرة الخيرات التي اليه ولأجل الثواب المضاعف ﴿وَهُدًى لِّلْعٰلَمِيْنَ﴾ لعله لمافيه من اقامة توحيد الله وذكره في المشاعرة واحياء سنة الخليلين.(١)

ثم جاء ابراهيم عليه السلام وبنى البيت، كما روى عن بن عباس رضى الله عنهما قال فجاء ابراهيم واسمعيل يبرى نبلاله اونباله تحت الدوحة قريبا من زمزم فلما راه قام اليه فصنعا كما يصنع الوالد بولده والولد بوالده، قال: معمر وسمعت رجلا يقول بكيا حتى اجابتهما الطير، قال سعيد فقال يا اسمعيل ان الله عزوجل قد امرنى بامره فاطمع ربک فيما امرک قال وتعيننى، قال واعينک، قال فان الله قد أمرنى أن أبنى له بيتا هاهنا فعند ذلک رفع ابراهيم قواعد البيت كما يقول الله تعالى: ﴿وَاِذْ يَرْفَعُ اِبْرَاهِيْمَ قَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾ أي يرفع بنيانه على أساسات ثابتة ﴿وَاِسْمٰعِيْلَ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا اِنَّکَ اَنْتَ السَّمِيْعُ الْعَلِيْمُ﴾ أي قائلين ربنا تقبل منا هذا العمل الطيب انک أنت تسمع دعائنا وتعلم نيتنا.(٢)

وهكذا جمع ابراهيم عليه السلام بين فرعين فرع اسحق فى الشام ومنه ابنه يعقوب الذى يلقب باسرائيل واليه ينتسب سائر اسباط بنى اسرائيل كما يقول الله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ اِسْحٰقَ وَيَعْقُوْبَ وَكُلاً هَدَيْنَا وَنُوْحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوٗدَ وَسُلَيْمَانَ وَاَيُّوْبَ وَيُوْسُفَ وَمُوْسٰى وَهَارُوْنَ وَكَذٰلِکَ نَجْزِ الْمُحْسِنِيْنَ﴾.(١)

١= سورة آل عمران. آية رقم: ٩٦[تفسير صفوة التفاسير ج٢   ٢= سورة البقرة. اية رقم: ١٢٧[
زبدة التفسير من فتح القدير   ٣= سورة الانعام. آية: ٨٤]

وقد أنزل الله فيهم التوراة على موسى وكان منهم أنبياء كثيرون وكان آخر أنبياء بنى اسرائيل السيد المسيح عيسى بن مريم وكانت رسالته آخر الرسالات الموجهة اليهم وكتابه الانجيل.

وفرع اسمعيل فى مكة حيث أقام مع أمه واقام الى جوارهم قوم من قبيلة جرهم ويرجع نسب عرب الحجاز الى ولدي اسمعيل: نابت، وقيذار، واسمعيل هو جد النبى صلى الله عليه وسلم. (١)

والى هذين الفرعين اشار القرآن الكريم بقوله: ﴿اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِىْ وَهَبَ لِيْ عَلَي الْكِبَرِ اِسْمٰعِيْلَ وَاِسْحَاقَ اِنَّ رَبِّي لَسَمِيْعُ الدُّعَاءِ﴾ (٢) وبهذا أبقي احتام وتكريم مكة المكرمة في نفوس جميع أبناء فرعي ابراهيم عليهم السلام.

ومن أهميتها الدينية الحج: كان الحج من شعائر الدينية القديمة عند الساميين، ويعنى به التوجه الى الاماكن المقدسة فى اوقات معينة من السنة للتبرك بها وللتقرب اليها، وقد ميز الشهر الذى يقع فيه الحج عن الاشهر الاخرى بتسمية شهر ذى الحجة وبشهر الحج، وذلك لوقوع الحج فيه وهذه التسمية المعروفة حتى الآن فى التقويم الهجرى هى تسمية قديمة كانت معروفة فى الجاهلية.

وكان الحج بأدعية وبمخاطبات الى الآلهة وبتوسلات ليتقبل حج ذلك الشخص الذى قصدها تقربا اليها وهذا هو الشائع والمعروف عن الحج، غير أن من

---

١ = انور جندى. الاسلام والعالم المعاصر. ص: ٣٠. ج: اول   ٢ = سورة ابراهيم. آية: ٣٩

الجاهلين من كان يحج حجا مصمتا اى دون كلام فلا يتكلم الحاج طيلة أيام حجه، وقد كان ذلك من عمل الجاهلية.(١)

كما ورد عن الطواف كان طوافهم بالبيت سبعة اشواط وهم صنفان، صنف يطوف بالبيت عريانا وهم الحلة، وصنف يطوف ويعرف هؤلاء بالحمس سموا بذلك لتشدد هم في دينهم، أما من كان من غير حمس فيمكن الطواف بثيابه وعليه في هذه الحالة الأخير طرح ثيابه بعد اكماله الطواف حول البيت فلا يجوز له استعمالها مرة ثانية فاذا القيت لايمسها أحد ولايحركها حتى تبلى من وطئ الاقدام ومن تأثير الشمس والرياح ويطلق على هذه الثياب التى تطرح بعد الطواف اسم اللقى(٢)

ويذكر أهل الأخبار أن الحج الى مكة كان فى الجاهلية كذلك، وأن الجاهليين كانوا يحجون الى البيت منذ يوم تاسيسه وأنهم كانوا يقصدون مكة افواجا من كل مكان، وأن ملوكهم كانوا يتقربون الى بيت الله بالهدايا والنذور، وأن منهم من حج اليه وأن الناس كانوا يقسمون بالبيت الحرام لما له من مكانة فى نفوس جميع الجاهليين. (٣)

كانت الكعبة التى أراد ابرهة الأشرم أن يهدمها موضعا أعظم تقديس فى كل زمن وكان ينظر الى الكعبة كهبة من الله للشعب العربى حتى تكون شاهدة على أن

١= على جواد. تاريخ العرب قبل الاسلام. ص: ٣٣٧، ٣٣٨، ج: ٦   ٢= رشيد الجميلى. تاريخ العرب فى الجاهلية وعصر الدعوة الإسلامية. ص: ٢٣١   ٣= على جواد. تاريخ العرب قبل الاسلام. ص: ٣٥١. ج: ٦

العرب خير امة وكانت الكعبة مصلى لابراهيم واسمعيل اى بيتا لله، والكعبة اذ احتوت أصنام العرب (٣٦٠) التى هى قوى تابعة عدت مشتملة على جميع الآلهة وغدت الموضع تجمع فيه الأصنام الأمة وكان العرب يجعلون منها مكانا للحج ولم يقصر العرب فى تزيينها وزخرفتها طامعين أن تفوق جميع معابد الدنيار ونقاربها. (١)

وأيضا لقد كانوا لتقديسهم لمكانة البيت كانوا يحرمون على أنفسهم أن يقتلوا وأن يقتتلوا داخل الحرم حتى أنهم مع تشددهم فى الأخذ بالثار مما فرق جمعهم كانوا يحرمو نه على أنفسهم فى الحرم المكى زاده الله تشريفا وتكريما، وأن الرجل كان يلقى قاتل ابنه او اخيه فلايمسه بسؤ لمكان التقديس، بل أنهم لايحترمون المكان فقط بل يحترمون أيضا الزمان الذى يكون فيه الحج الى بيت الله الحرام فكانو لايقاتلون فى أشهر الحج ولا أشهر العمرة وهى ماتسمى بالأشهر الحرم وهى ذوالقعده وذو الحجة والمحرم ورجب الذى بين جمادى الآخر والشعبان، اذا كانت فيه عمرة مضرة ولذلك سمى رجب مضر، وقد أقر الاسلام من بعد حرمة البيت ومنع القتال فى الأشهر الحرم الا اذا كان فيها اعتداء فانه يكون من الظلم النفسى أن لايدفع المعتدى عليه عن نفسه.(٢)

ومن أهميتها الدينية: كانت الابراهيمية ديانة التوحيد السائد بالحجاز كله وبمكة خاصة والابراهيمية نسبة الى سيدنا ابراهيم عليه السلام وكانت فرائض

---

١ = انور الرفاعى. تاريخ العرب والاسلام منذ العصور القديمة حتى العهد العثماني. ص: ١١٢

٢ = محمد بوزهرة. خاتم النبيين. ص: ٦٦. ج: اول

العبادة ومناسك الحج تؤدى على ديانة ابراهيم حتى اذا تولت خزاعة السلطة بدأ أخطر القلاب فى تاريخ الديانة الابراهيمية، اذ دخلت الوثنية مكة على يد عمرو بن لحى الخزاعى وسيطرت على الكعبة على مرور ايام هذا الوالى.

فانه أول من دعاهم الى الوثنية وكان ذا مال جزيل جدا يقال أنه فقأ اعين عشرين بعيرا وذلك عبارة عن أنه ملك عشرين الف بعير، وكان من عادة العرب أن من ملك الف بعيرا فقأ عين واحد منها، لأنه يدفع بذلك العين عنها.

أنه ربما ذبح ايام الحج عشرة الاف بدنة وكساعشرة الاف حلة فى كل سنة يطعم العرب ويحيس لهم الحيس بالسمن والعسل ويلت لهم السويق. (١)

قال ابن هشام حدثنى بعض أهل العلم أن عمرو بن لحى خرج من مكة الى الشام فى بعض أموره فلما قدم (مآب) من أرض البلقاء وبها يومئذ العمالق وهم ولد عملاق ويقال عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح، وهم يعبدون الأصنام قالوا له هذه أصنام نعبدها فنستمطرها فتمطرنا ونستنصرها فتنصرنا، فقال لهم أفلا تعطوننى منها صنمافأ سيربه الى أرض العرب فيعبدونه، فأعطوه صنما يقال له (هبل) فقدم به مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه. (٢)

وأراد بن لحى أن يستغل الكعبة المشرفة التى يلى أمرها فيتخذها وسيلة لجذب القبائل والشعوب لأنه مدرك أن مشاركة غير الحجاز ومكة لهما فى تعظيم

---

١ – احمد عبد الغفور عطار. الكعبة والكسوة. ص: ١ـ ٣٢

٢ – عبد الملك بن هشام. السيرة النبوية. ص: ٩٠. ج: اول

الكعبة دعم لسلطانه وتمكن للقومية العربية التى تجعل العرب جميعا مرتبطين بهذا الرمز المقدس الذى يجمع شتاتهم.

ولما كانت مكة طريق القوافل ومركزا هاما من مراكز التجارة فان من أسباب نفوذ حاكمها أن يكون لأهل الشمال ارتباط بالكعبة فنقل آلهة الشمال الى مكة ووضع فى جوف الكعبة اعترافا منه بآلهتهم، ولاشك أن هذا الاعتراف من قبل حاكم مكة ووالى الكعبة بآلهة الشمال التى نقلها اليها يحمل أهل الشمال على الاعتراف بقدسية الكعبة ويزداد تقديسهم اياها وجود بعض آلهتهم فى جوفها، وتضطر التجار أهل الشمال الى التردد على مكة وعند مايجدون آلهتهم فى الكعبة يأنسون اليها ويشتركون مع أهل الحجاز ومكة فى تعظيم الكعبة، ولعل من أطماع ابن لحى فى جمع كلمة العرب لتكون لهم قومية واحدة مثل القومية الرومانية والقومية الفارسية، تقف فى وجه تلك القوميات نقل آلهة الشمال الى الجنوب حتى يرتبطا قوميا ودينيا ولغويا وحتى يشترك أهل الشمال مع الجنوب فى تعظيم الكعبة التى تجمع شتاتهم فى وحدة متماسكة، ولهذا أحدث هذا الانقلاب الخطير بمكة، والحجاز على يد عمرو بن لحى الذى بدل دين التوحيد وأحل محله الوثنية والشرك لاسباب سياسية وقومية.

وبنو خزاعة كانوا مثل سيدهم فى ضعف العقيدة ولهذا استجابوا لزعيمهم وشاركوا فى الوثنية الجديدة واستقبلوها استقبالا حسنا لأن نفوسهم مهيأة.

وأخذت الوثنية تنشر منذ دعا اليها ابن لحى حتى صارت الحياة الدينية فى مكة والحجاز وثنية مثل سائر جزيرة العرب والعالم كله فى ذلك العهد. (١)

وكانت مكة عند ظهور الاسلام مخزنا للأصنام وكان غاصابها فيها نحو (٣٦٠) صنما على ما ورد فى الأخبار. (٢)

المبحث الثالث

أهمية الاقتصادية لمكة المكرمة

بحيث تقع مكة والحجاز بوجه عام فى نطاق منطقة الحرارة القصوى، ويرجع الجغرافيون ذلك الى أن قسما كبيرا من الجزيرة العربية يقع فى منطقة الزهو المدارية ذات الضغط العالى، والمطر القليل، والقسم الآخر يقع فى حيز الرياح الشمالية الشرقية الجافة التى تزداد حرارتها كلما تقدمت الى الجنوب، ولقد أدى هذا الوضع الى حالة جدب شديد نشأت من قلة المطر وندرة سقوطه لدرجة أنه لايسقط المطر فى بعض أماكن الجزيرة الاكل ثلاث سنوات او أربع، وبجانب قلة المطر لاتوجد أنهار فى الجزيرة العربية.(٣)

كما قال ابراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ

١= احمد عبد الغفور عطار. الكعبة والكسوة. ص: ٣٣-الي-٣٥

٢= جواد علي. تاريخ العرب قبل الاسلام. ص: ٢١٨. ج: الخامس.

٣= دكتور احمد احمد غلوش. الدعوة الاسلامية. ص: ٧٧

وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُوْنَ.﴾ (١)

لقد اضطر هذا الجدب بالعرب وأهل مكة الى أن يبحثوا عن وسيلة للعيش وكانت مكة فى القرن الخامس للميلاد محطا صغيرا على طريق القوافل التى كانت تخترق قلب الجزيرة العربية من اليمن جنوبا والشام شمالا وقد أفاد أهل مكة من مرور هذا الطريق بمدينتهم فشاركوا فى التجارة.(٢)

وبلغ من اهتمام القرشيين بالتجارة أنهم كانوا يرحلون رحلتين فى العام رحلة فى الشتاء الى اليمن ورحلة فى الصيف الى الشام، كما قال الله تعالى عنهم:

﴿لإيلٰفِ قُرَيْشٍ اِلٰفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ.﴾ (٣)

وكان بنو عبد مناف الاربعة يتوجهون الى البلاد المختلفة للتجارة، فكان هاشم يتوجه الى الشام وعبد الشمس الى الحبشة والمطلب الى اليمن ونوفل الى فارس، وكان تجار قريش يختلفون الى هذه البلاد فى ذمة هؤلاء الاخوة الأربعة لايتعرض لهم أحد بسوء وكان كل أخ منهم يأخذ من ملك البلد الذى يقصده أمانا له، فكان هذا الشبه بالعلاقات التجارية بين أمراء مكة وغيرهم من الملوك، وكانت غير قريش تحمل من أسواق صفاء ومن موانى عمان واليمن الطيب والبخور الكثير الاستعمال فى المعابد والكنائس والقصور فى البلاد الواقعة فى حوض البحر الأبيض المتوسط، وكذا المنسوجات الحريرية والجلود والأسلحة والمعادن

١= سورة ابراهيم. آية: ٣٧

٢= علي الجمبلاطي محمد نبي. الانسانية. ص: ١٧

٣= سورة قريش. آية: ٢

النفيسة التى يرد كثير منها الى موانى بلاد اليمن من الهند والصين وغيرهما من بلاد الشرق، وتحمل من أسواق بصرة ودمشق القمح والمصنوعات وزيت الزيتون والحبوب والخشب والغز، ومن بلاد الحبشة التوابل ومن مصر المنسوجات المعروفة بالقباطى. (١)

وأدى اختلاط التجار العرب بالروم والفرس والهنود والأحباش خلال جولات التجارة أن أخذوا كثيرا من نظمهم ونقلوها الى الجزيرة العربية وقد استملت الحياة العربية على سائر النظم والعقائد العالمية.

نقلوا كثيرا من معتقدات هؤلاء الناس لدرجة أن سائر المعتقدات كان لها وجود عند العرب حيث كان فيهم الدهرية، وعبدة الأصنام والأوثان وعبد الحيوان والنار والكواكب كما وجدت المسيحية واليهودية والمجوسية مع العرب. (٢)

وقد أفاد قريش من اشتغالهم بالتجارة على معرفة أحوال هذه الأمم السياسية والاجتماعية والأدبية مما كان له أثر كبير فى تثقيف عقولهم ورقى مداركهم حتى وصلوا الى مستوى فكرى لم يصل اليه أهل البدو وسكان الواحات، وكانوا يعرفون الكتابة والقرائة والحساب كما كانوا على أحوال الأمم المجاورة لهم من سياسة وغيرها مما ظهرت آثارها بعد فى الفتوح الاسلامية ولكل ذلك حسنت ادارتهم لشؤن الكعبة وسهلوا على الناس القدوم اليها وشجعوهم على الحج الى بلدهم. (٣)

---

١ = حسن ابراهيم حسن. تاريخ الاسلام. ص: ٦٢. ج: اول ٢ = احمد احمد غلوش. الدعوة الاسلامية. ص: ٨٠

٣ = حسن ابراهيم حسن. تاريخ الاسلام. ص: ٦٣ـ ٦٥

وبالاضافة الى حرفة التجارة كان الحج من مصادر الثروة فى مكة فالحج الى جانب كونه مظهرا دينيا للعرب فى الجاهلية ووسيلة للاجتماع والالتقاء والتعارف كان وسيلة من وسائل التكسب بالتجارة وكانت تقام فى مواسم الحج أسواق تجارية وأدبية مثل سوق عكاظ وسوق جنة، وسوق ذى المجاز، وفى هذه الأسواق كان العرب من سائر انحاء شبه الجزرة يقدمون سلعهم المختلفة فيتيحون بذلك للمكيين سوقا تجاريا للمبادلة والاستهلاك.

وذكر المسعودى أن زعماء قريش كانوا يفرضون ضريبة على من يدخل مكة من التجار الغرباء عن قريش عرفت بالعشر، وقد نزل عدد من التجار الروم فى مكة واتخذها دار مقام لهم وتوافد عليها تجار من فرس وتحالفوا مع اثريائها ومنهم من اقام فى مكة نظير دفع الجزية لحمايته وحفظ امواله وتجارته. (١)

وقامت فى مكة صناعات بسيطة كصناعة الاسلحة من رماح وسكاكين وسيوف ودروع ونبال كذلك عرفوا صناعة الفخار من قدور وجفاف وصحاف واباريق وصناعة الأسرة والأرائك. (٢)

وهذا كله ساعد على وضع الأسس الاصلاحية التى لاتختلف من مكان الى مكان وتناسب كل الأجناس وتناقش كل المعتقدات على اختلافها وليتحقق أخيرا ما أراد الله من بروز دين الحق واظهاره على الدين كله ولو كره المشركون ومن هنا

١ = د. رشيد الجملى. تاريخ العرب فى الجاهلية وعصر الدعوة الاسلام. ص: ١٢٣ الى ١٢٥

٢ = د. عبد العزيز سالم دراسات فى تاريخ العرب قبل الاسلام. ص: ٣١٣]

نزل القرآن فى مكة والمدينة.

المبحث الرابع

الأهمية السياسية لمكة المكرمة

لم يكن للعرب نوع من الحكومات المعروفة الآن ولم يكن لهم قضاء يتحكمون اليه، او بوليس يقر الأمن والنظام، وجيش يدرأ عنهم الأخطار الخارجية كذلك لم يكلفوا دفع الضرائب لعدم وجود حكومة تقبض على زمام السلطة التنفيذية، وتضرب على أيدى المعتدى وتوقع عليه العقاب المتناسب مع جرمه، وانما كان الشخص المعتدى عليه يثار لنفسه بنفسه وعلى قبيلته أن تشد ازره. (١)

كانت القبيلة هى الوحدة السياسية عند العرب فى العصر الجاهلى، فافراد القبيلة ينتمون او يعتقدون انهم ينتمون الى أصل واحد مشترك تجمعهم وحدة الجماعة وتربطهم رابطة العصبية للأهل والعشيرة ورابطة العصبية هى شعور بالتماسك والتضامن والاندماج بين من تربطهم رابطة الدم فهى بذلك مصدر للقوة السياسية والدفاعية التى تربط بين افراد القبيلة فتعمل بذلك على بقاء المجتمع وحفظ كيانه وهى تعادل الشعور بالقومية فى العصور الحاضرة ولكن رابطة الدم فيها أقوى وأوضح والفرد يرتبط ارتباطا وثيقا بقبيلته وينصرها ظالمه او مظلومه.(٢)

---

١ – د. حسن ابراهيم حسن. تاريخ الاسلام. ص: ٥١. ج: اول

٢– رشيد الجميلى. تاريخ العرب فى الجاهلية وعصر الدعوة الاسلامية. ص: ٣٨

أما عن نظم الحكم السائد فى تلك المجتمعات القبلية فقد كان لكل قبيلة مجلس من شيوخها يرأسه رجل يتم اختياره من بين افراد القبيلة ويطلقون عليه عدة القاب منها الرئيس والشيخ والأمير والسيد.

ويشترط فيمن يتولى هذا المنصب أن تتوفر فيه عدة صفات توهله لقيادة القبيلة ورئاستها، منها الشجاعة والحكمة والصبر والكرم وأن يكون ذانفوذ عظيم وقوة فى البيان ورأى ثاقب، وتتم رئاسة القبيلة بانتخاب الحر بين الافراد، اذ لم يكن مبداء الوراثة مقبولا عند العرب لما قد يؤدى اليه ذلك من تقييد للحريات واذا حدث انتخاب الابن بعد ابيه فانما يتم ذلك لتوفر شروط الرياسة فيه، وكان على سيد القبيلة واجبات اهمها قيادة الجيش اوقات الحروب.

وتولى أمر المفوضات مع القبائل الأخرى وفض المنازعات والحكم فى الخلافات واعانة الضعفاء وايواء الغريب واجازة المجير والذود عن النساء والمحافظة على وحدة القبيلة. (١)

يزعم الأخباريون أن اقدم من حكم مكة والحجاز العمالقة وعليهم، السميدع بن لاوى وخلفهم بنو جرهم القحطانية، وكان ابراهيم عليه السلام قد أسكن ولده اسمعيل مكة مع أمه هاجر وبنى البيت العتيق بالحجر بمعاونة ابنه اسمعيل، وتزوج اسمعيل امراة جرهمية وكانت منازل جرهم بمكة وماحولها، وقام بأمر البيت بعد

---

١ =رشيد الجميلى. تاريخ العرب فى الجاهلية وعصر الدعوة الاسلامية. ص: ٤٩ـ٥٠

اسمعيل (الحارث بن مضاض) الجرهمي وهو أول من ولي البيت ثم وفد خزاعة الى مكة بعد سيل العرم فنزلوا بظاهر مكة وغلبوا الجرهميين وطردوهم عنها و كان اول من ولي امر البيت من خزاعة عمرو بن لحى، فغير دين ابراهيم عليه السلام وبدله بعبادة الاوثان، فقد ذكروا انه استحضر معه من البلقاء بالشام اصناما نصبها حول الكعبة وظلت خزاعة تلي امر البيت. (١)

وقيل وفدت خزاعة الى مكة بعد السيل العرم فنزلوا بظاهرها فأبت جرهم السماح لهم بالاقامة في مكة فنبشت الحرب بينهما ثلاثة ايام انتهت بهزيمة جرهم وتولت خزاعة امر البيت. (٢)

وقد سارت الركبان بذكر الكعبة ولاسيما بعد أن امن الله على دعاء ابراهيم عليه السلام بقوله، ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيْقٍ.﴾(٣)

وقوله: ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِيْ إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُوْنَ.﴾ (٤)

قد قام حول الكعبة بعض اسر من فهر احدى بطون قبيلة كنانة عرفت باسم قريش، واتخذوا جزأ من الارض المجاورة للكعبة، اولوه احترامهم واعتبروه مقدسا وحرموا فيه القتال وأخذوا على عاتقهم حمايته فامنوا بذلك أذى غيرهم من

١- عبد العزيز سالم. تاريخ العرب قبل الاسلام. ص: ٣١٤ ٢- رشيد الجميلي. تاريخ العرب في الجاهلية وعصر الدعوة الاسلامية. ص: ١٧٦ ٣- سورة الحج. اية: ٢٧ ٤- سورة ابراهيم. اية: ٣٧

القبائل وكان لمكة مركز خاص لوجود الكعبة بها كما اصبحت قبيلة قريش محترمة فى نظر القبائل العربية. (١)

ثم تشعبت بطون كنانة ومضر كلها وصاروا احيائا وبيوتا متفرقة وكانوا آنذاك يقيمون بظاهر مكة الى أن تمكن قصى بن كلاب بن مره من انتزاع السيادة والادارة المكية من خزاعة ويرجع الفضل الى قصى فى جميع قريش وتقسيمها الى بطون فميز بين قريش ابطاح وقريش الظواهر واخرجهم من نطاق الفوضى والاضطراب، وادخلهم قلب مكة فاقامهم فيها أسيادا، وقريش البطاح هى البطون التى تسكن مكة نفسها، وأما قريش الظواهر فهى البطون التى تسكن أطراف مكة، كان قصى بن كلاب أول من أصاب الملك بمكة من ولد كعب بن لؤى فلما استقامت له الامور واطاعة الناس بنى دار الندوة.(٢)

لأنهم كانوا يفتدون فيها فيتحدثون ويتشاورون فى حروبهم وأمورهم ويعقدون الألوية ويزوجون من اراد التزويج، كانت الدار دار مشورة فى أمور السلم والحرب ودار حكومة يديرها الملأ او مجلس شيوخها، وهى تشبه الكليسا فى أثينا، والسناتو فى روما. (٣)

وكان لايدخل دار الندوة من قريش او غيرهم الا من بلغ الأربعين سنة من عمره عدا اولاد قصى بن كلاب فكانوا يدخلونها جميعا مع حلفاؤهم وتعتبر دار

١= حسن ابراهيم حسن. تاريخ الاسلام. ص: ٣٧. ج: ١ ٢= رشيد الجميلى. تاريخ العرب فى الجاهلية وعصر الدعوة الاسلامية. ص: ١٧٧-١٨١ ٣= عبد العزيز سالم. تاريخ العرب قبل الاسلام. ص: ٣١٥. ج: ١

الندوة ملكا خاصا لبنى عبد الدار يتوارثونها ولم تكن من الابنية العامة وقد احتفظ قصى لنفسه بالاضافة الى رئاسة دار الندوة بالحجابة والرفادة والسقاية والولاء.(١)

هكذا كانت قريش تؤمن بالسلم وحاجة البلاد العربية الى أمن داخلى حتى تروج تجارتها ويغنى تجارها ويزداد ثراء افرادها، وكانت تحاول أن تبسط نفوذها السياسى كما بسطت نفوذها الدينى والأدبى فعمدت الى عقد محالفات مع عدة قبائل ممن جاورتها حتى تزداد قوتها. (٢)

من هذه المحالفات حلف عرف بحلف الفضولى يروى المؤرخون أن قبائل من قريش تداعت الى حلف فاجتمع فى دار عبد الله بن جد عان بنوا هاشم وبن المطلب وبنو اسد وبنو زهرة وبنو تيم وتعاهدوا على أن لايظلم بمكة غريب ولاقريب ولاحر ولاعبد والا كانوا معه حتى يأخذوا له بحقه من انفسهم ومن غيرهم، وعلى أى حال فان ظروف مكة السيلسية والاقتصادية والجغرافية قد جعلتها مدينة عربية لجميع العرب، فلم تكن كسروية او قيصرية ولاتبعية اونجاشية كما عساها أن تكون لو استقرت على مشارف الشام او عند تخوم الجنوب ولهذا اتمت لها خصائص التى كانت لازمة امن يقصد ونها ويجدون فيها من يبادلهم ويبادلونه على حكم المنفعة المشتركة لاعلى حكم القهر والاكراه. (٣)

١= رشيد الجميلى. تاريخ العرب فى الجاهلية وعصر الدعوة الاسلامية. ص: ١٨٢

٢= ضرار صالح ضرار. العرب من معين الى الامويين. ص: ٣٦

٣= د. محمد بيومى مهران. دراسات فى تاريخ العرب. ص: ٢١٩

وايضا الى قريش يرجع الفضل فى ثيق الروابط التى تربط من يوم من البيت الحرام كل عام من مختلف القبائل اذا اصبحت مكة المكان كالذى تعد اليه القبائل من كافة ارجاء بلاد العرب، حيث يجتمعون للحج والتجارة وقد جعل هذا الامر لقريش مركزا خاصا فى نفوس القبائل وارتاح الفرصة لكثير من رجال هذه القبيلة فظهرت مواهبهم بعد ظهور الاسلام وكل منهم رجال كثيرون يعتبرون بحق من اكبر قادة العالم فى الحروب والسياسة. (١)

من هذا البيان الموجز يتبين أن البيئة الطبيعية بمكة وما حولها وما لها من مزايا امتازت بها كانت من المرشحات لأن تكون موطن النبوة، وموطن خاتم النبيين، فاذا كانت النبوة قد ابتدأت بابراهيم ابى الانبياء واسمعيل عليهما السلام فان ختام النبوة فى العالمين كانت بها ايضا برجل من ولد اسمعيل فهى اصلح مكان لأن ينبعث منها الدين الجديد الخالد الى يوم القيمة حيث يلتقى العرب جميعا فيها وحيث الامن والسلام فيها وحيث القدسية التى تملأ النفوس تنبعث من ارضها وحيث دار الندوة التى يتشاورون فيها العرب أجمعون. (٢)

الخاتمة

قد تم هذا البحث عن عناية اللّٰه بالدعوة الاسلامية، وارجو أن أكون قد وفقت فيه وفى جمع بعض ما بامكان المطلع أن يتصور مدى جهدى الذى حاولت

١= حسن ابراهيم حسن. تاريخ الاسلام. ص: ٤٧ ٢= محمد بوزهرة. خاتم النبيين. ص: ٨١

بذله في سبيله واظنه لم يجاوز حده ان لم يكن قد قصر في شمله الجوانب المطلوبة، لأن البحث بهذا العنوان المكون من (عناية الله بالدعوة الاسلامية) جدير بالتوسع وكثرة المراجع لأنه يحتوى على اكثرمن أمور.

ولذلك قد أعنيت بما ظننته أهم بالنسبة بقية المواضع، ولذلك نجد فى البحث قد عنى أولا بدراسة حاجة البشر الى الرسل موجزا فى المبحث الاول، ونظرة سريعة الى حالة الأديان السماوية فى المبحث الثاني فنجد أن جميع الأديان السماوية قد انتهى وما بقي منها أثر، واشرت فى المبحث الثالث الى بعض الأديان الوضعية المشهورة قبل الاسلام وحالتها ووضع البشر فيها، وأيضا تعرضت الى الوضع السياسى وحالة البشر قبيل الاسلام التى دعت الى ارسال الرسول، ثم ذكرت عناية الله بالدعوة الاسلامية باختيار محمد صلى الله عليه وسلم رسولا للدعوة الاسلامية بما يمتازه، ثم لما كانت الدعوة الاسلامية دعوة علمية تحتاج الى مكان عالمى فتعرضت فى الفصل الثانى الى عناية الله بالدعوة الاسلامية باختيار مكة المكرمة مكانا للدعوة الاسلامية، وأشرت الى بعض أهمياتها، أهميتها الجغرافية فى المبحث الأول، وأهميتها الدينية فى المبحث الثانى وأهميتها الاقتصادية فى المبحث الثالث، وأهميتها السياسية فى المبحث الرابع، وأن مكة المكرمة مكان الذى أحاطه الله بمجموعة من الظروف الطبيعية جعلته مكانا ملائما للدعوة الخاتمة العامة للجميع، ومن المستحيل أن تجتمع هذه الظروف فى بيئة

الهـجـرة والتأمل وتكوين نزعة دينية واحساس اخوى سليم يفيد الدعوة تماما، وقد كـان، فتـحـولـت النزعة الى عقيدة ونظم الشعور الأخوى فى قوة انطلقت دفاعا عن الدعوة وفى خدمتها.

وما توفيقى الا بالله وعليه توكلت واليه أنيب

وانه سميع مجيب

صلوات الله على نبينا وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، الى يوم الدين، آمين، يا رب العالمين.

التـوجـه الخاص: الاخـوـة القـارؤون أن جـميع ما أخذت في التفسير من التفسيرين لاغير ١ = صفوة التفاسير تأليف محمد علي الصابوني.

٢ = وتفسير زبدة التفسير وهو مختصر فتح القدير للامام الشوكاني .

المولوي مطيع الله (عائل)

المراجع

١ـ القرآن الكريم.

٢=محمد علي الصابوني ' صفوة التفاسير دار الجيل بيروت لبنان ' ثلاث مجلدات الطبع الثامن ١٤١٥هـ

٣=محمد سليمان عبدالله الأشقر ' زبدة التفسير وهو مختصر من فتح القدير للامام الشوكاني الطبعة الأولى وزارة الأوقاف والشؤن الاسلامية' الكويت

٤ـ آدم عبد الله الآلورى ـ تاريخ الدعوة الاسلامية من الامس الى اليوم ناشر، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان. د.ت. صفحات: ١٣٩]

٥ـ احمد احمد غلوش ـ الدعوة الاسلامية اصولها ووسائلها، دار الكتاب المصرى، القاهرة، مصر، د. ت. صفحات: ٤٩٣]

٦ـ احمد عبد الغفور عطار ـ الكعبة والكسوة منذ اربعة الاف سنة حتى اليوم، د. ن. د. ط، بيروت، لبنان، الطبع الاول، تاريخ ١٩٧٧م، صفحات، ٢٠٧.

٧ـ انور الرفاعى ـ تاريخ العرب والاسلام منذ العصور القديمة حتى العد العثماني، دار الفكر، بيروت، لبنان، تاريخ، ١٩٧١م، صفحات: ٤٨٠]

٨ـ الدكتور احمد شلبى ـ مقارنة الاديان (٣) الاسلام.

مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، الطعة الخامسة، ت، ١٩٧٧م، مجلدات، ٣.

٩ــ ابو الحسن على الحسنى الندوى ــ ما ذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، دارِ القلم، كويت، مطبعة دار الاصفهان للطباعة بجدة، تاريخ، ١٩٨٢ م صفحات، ٣٢٤.

١٠ ــ انور الجندى ـ الاسلام والعلم المعاصر، بحث تاريخى حضارى، دار الكتاب اللبنانى، بيروت، طبعة الاولى، تاريخ ١٩٧٣ م، صفحات، ٣٦٩]

١١ ــ احمد حسين ــ نبي الانسانية، الناشر، لجنة التعريف بالاسلام الجمهورية العربية المتحدة، د. ت. صفحات: ٣٢٧]

١٢ ــ الدكتور جواد على. المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام، مكتبة النهضة، بغداد، عراق، تاريخ: ١٩٧٠ م مجلدات: ٩

١٣ ــ حسن ابراهيم حسن ــ تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، الطبعة، ٧، مجلدات، ٤، تاريخ: ١٩٦٤ م

١٤ ــ رشيد الجميلى ـ تاريخ العرب فى الجاهلية وعصر الدعوة الاسلامية، ناشر، جامعة بغداد، مطبعة الرصافى، بغداد عراق، الطبعة الثالثة، ت، ١٩٧٦ م، الصفحات: ٣٥٧

١٥ ــ ضرار صالح ضرار العرب من معين الى الامويين، ناشر، الدار السودانية لامكتب، الخرطوم، السودان، طبعة خامسة، ت، ١٩٨١ م، صفحات: ١٥٩

١٦ـ الدكتور عبد الحميد على بخيت ـ ظهور الاسلام وسيادة مبادئه، ناشر، دار المعارف، القاهرة، مصر، الطبعة الثالثة، ت، ١٩٧٧م، صفحات: ٣١٩]

١٧ـ على الجمبلاطى ـ وابو الفتوح التوانى ـ محمد نبى الانسانية والسلام، دار النهضة للطبع والنشر، القاهرة، مصر، تاريخ: ١٩٧٣م، صفحات: ٢٨٦]

١٨ـ عبد القادر احمد عطار ـ لما ذا بعث الرسول فى مكة ولم يبعث فى غيرها، دار العلوم للطباعة، القاهرة، مصر، الطبعة الاولى، تاريخ: ١٣٩٩ه. صفحات: ٨٧

١٩ـ عفيف عبد الفتاح طبارة ـ مع الانبياء فى القرآن الكريم، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة السابعة، تاريخ: ١٩٧٩م، صفحات: ٤٧١]

٢٠ـ الدكتور / السيد عبد العزيز سالم ـ دراسات فى تاريخ العرب قبل الاسلام، مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية، مصر، د. ت. مجلدات، ثلاث.

٢١ـ عبد القادر شيبة الحمد ـ الاديان والفرق والمذاهب المعاصرة، ناشر الجامعة الاسلامية، مطبعة الجامعة، د. ت. صفحات: ١٩١]

٢٢ـ محمد فؤاد الهاشمى ـ الاديان فى كفة الميزان، الناشر، محمد حلمى المنيادى، مطابع دار الكتاب العربى، القاهرة، مصر د. ت. الصفحات: ١٨٢]

٢٣ـ محمود الشرقاوى ـ مكة المكرمة، الناشر، دار السلام، القاهرة، تاريخ: ١٩٧٢م، صفحات: ٢٣٨

٢٤ـ محمد ابو زهرة ـ خاتم النبيين، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، تاريخ: ١٩٧٢م، مجلدين، طبعة اولى.

٢٥ـ محمد بن عمر معروف بفخر الدين الرازي، عصمة الانبياء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د. ت. صفحات: ١٤٤

٢٦ـ الدكتور/ محمود بن الشريف، الاديان في القرآن. دار المعارف، القاهرة، مصر، طبعة ثالثة، تاريخ: ١٩٧٦م.

٢٧ـ السيد/ محمود شكري الالوسي البغدادي، بلوغ الارب في معرفة احوال العرب، ناشر، مكتبة محمد الطيب، مطابع دار الكتاب العربي، القاهرة، مصر، مجلدات، ثلاث.

٢٨ـ الاستاذ/ محمود ابو الفيض المنوفي الحسني، سيرة سيد المرسلين، دار النهضة للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، د. ت، مجلدين.

٢٩ـ الدكتور/ محمد بيومي مهران، دراسات في تاريخ العرب القديم، ناشر، لجنة البحوث بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، تاريخ: ١٣٩٧هـ صفحات: ٦٨٦.

٣٠ـ السيد/ محمد رشيد رضا ـ الوحي المحمدي، ناشر، مكتبة القاهرة، مصر، لبعة سادسة، ١٩٦٠م، صفحات: ٢٨٠.

٣١ـ محمد بن ابي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، هداية الحيارى في

جواب اليهود والنصارى، ناشر دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، د. ت، صفحات: ١٩٣

٣٢ـ محمد يوسف موسى، الاسلام وحاجة الانسانية اليه، مكتبة الفلاح، الكويت، طبعة ثالثة، ١٣٩٨ه، صفحات: ٢٨٨.

٣٣ـ مولنا/ محمد على ـ حياة محمد ورسلته، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٧٦م، صفحات: ٣٠٣.

٣٤ـ محمد بن عبد الله الازرقى ـ اخبار مكة وما جاء فيها من الاثار، مطابع دار الثقافة، مكة المكرمة، الطعة الثانية تاريخ: ١٩٦٥، مجلدين.

٣٥ـ مسلم بن قشيرى ـ صحيح مسلم، دار الفكر، بيروت، لبنان، تاريخ: ١٩٨١م، مجلدات: ٧

٣٦ـ محمد عبد الملك بن هشام ـ السيرة النبوية، دار الفكر، الحلبى، القاهرة، مصر، د. ت. مجلدات: ٣.

٣٧ـ عبد الرحمن النحلاوى ـ اصول التربية الاسلامية واساليبها، دار الفكر، دمشق، سورية، الطبعة الاولى، ١٩٧٩م، صفحات: ٢٧٢.

٣٨ـ سيد قطب الشهيد ـ فى ظلال القرآن، دار احياء التراث العربى، بيروت، لبنان، الطبعة السابعة، ١٩٧١م، مجلدات: ٨.

٣٩ـ احمد ابراهيم الشريف ـ مكة والمدينة فى الجاهلية وعهد الرسول.

٤٠ـ فؤاد علي رضا ـ ام القرى مكة المكرمة.